مذكرات الشهيد

الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى

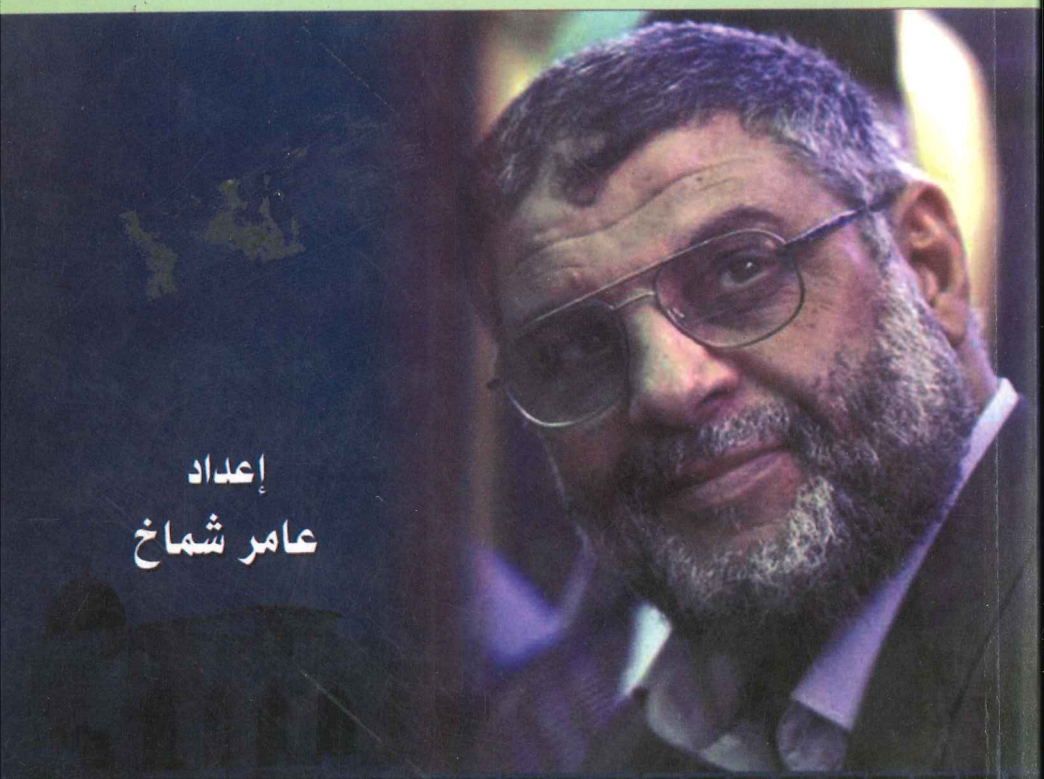

إعداد

عامر شماخ

الله غايتنا والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا
والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا

مذكرات الشهيد
الدكتور
عبد العزيز الرنتيسي

إعـــداد
عامر شماخ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٩٨٣٥

الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977 - 265 - 528 - 4

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

مقدمة

«أن تدخلنى ربى الجنة . . هذا أقصى ما أتمنى» هذا ما كان يدندن به الدكتور عبد العزيز الرنتيسى قبل موته بساعات، حتى إذا ركب سيارته بصحبة مرافقين اثنين من إخوانه، إذ غدر به الصهاينة، وأطاح بجسده الطاهر الذى عذب فى سبيل الله كثيراً صاروخان أطلقا من طائرة (أباتشى) أمريكية الصنع . . فذهب إلى ربه فى عرس مهيب، تحفه الملائكة، وينشد من حوله إخوانه الشهداء ممن سبقوه فى هذه القافلة المباركة.

لم يكن بين محاولة قتله الأولى (يونيو ٢٠٠٣) واستشهاده هذه المرة (أبريل ٢٠٠٤) سوى تسعة أو عشرة شهور، ولم يكن بين استشهاده واستشهاد أستاذه الشيخ أحمد ياسين سوى شهر أو أقل قليلاً . . وهذا يعنى أن الرجل مختار، مختار من الله كى يصير شهيداً مستبشراً بنعمة من الله وفضل، ومختار من الصهاينة الأنذال كى يموت - فى ظنهم - ويستريحون منه، ولا يعلم الأشرار أن هذه أمنيته، ولا يعلمون أيضًا أن دماءه التى فجرتها صواريخهم، إنما أنبتت ألوفًا من أمثاله، على أرض فلسطين وعلى غير أرض فلسطين . .

إنك حين تطالع سيرة الرجل، لا تجد منها إلا جهاداً ودعوة، وهمومًا ومعاناة، فمنذ بداية الثمانينيات وحتى استشهاده، ينتقل من سجن إلى سجن، ومن معتقل إلى آخر، ويتعرض طوال هذه السنين للضغوط والممارسات غير الإنسانية . . فلم يزده هذا إلا قوة فى الدين، واستمساكا بالحق، حتى عُرف بصلابته وقوة شكيمته، وصار مثلاً لشباب فلسطين فى الوقوف فى وجه الصهاينة وفضح ممارساتهم.

لقد تأثر الشهيد الرنتيسى بدعوة الإخوان المسلمين، وآمن إيمانًا لا يخالطه شك أن النصر لهذا الدين، وأن مع العسر يسرا، وأن الليل وإن طال سيعقبه الفجر، ولقد استطاع بفضل الله - ثم بفضل هذه الدعوة المباركة - أن يغير هو وإخوانه وجه فلسطين، حتى صارت أرضها نارًا تحت أقدام الصهاينة، فأينما ولوا قتلوا، فصار حلمهم كابوسًا، وانعدم أمنهم، وأدركوا أن ما فعلوه ببلدنا هو سرقة واحتيال.

ذكريات الشهيد الرنتيسى - الطبيب والشاعر والمجاهد والزوج والأب والقائد - على بساطتها وقلتها، تؤكد أن الأمة بخير، وأن ما كنا نسمعه عن كرامات الصحابة والسلف الصالح ليس صعب التحقيق، وإنما هو يسير على من يسر الله له، كما تؤكد هذه الذكريات أيضًا أن الله حافظ دينه وناصر جنده، ولو اجتمع عليهم أهل الأرض أجمعين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

فهنيئًا للشهيد شهادته، وهنيئًا لأهله شفاعته، وهنيئًا لأهل فلسطين جهادهم المبارك الذى أحيوا به الأمة بعد السبات..

وفى الصفحات التالية ذكريات الشهيد الغالى، ولقد رأينا أن نسبقها بتمهيد، للتعريف بصاحب هذه المذكرات، وتفاصيل الساعات الأخيرة قبل موته، وأشرنا إلى إسهاماته الشعرية. وبعد المذكرات وضعنا ملحقًا به بيانات وردود أفعال، وآخر مقال كتبه الشهيد.. وصفحات أخرى.. سائلين المولى عز وجل أن يقبلنا وألا نذل ونخزى.. اللهم آمين.

عامر شماخ

قبل المذكرات

١- تعريف بصاحب المذكرات

٢- التفاصيل الأخيرة فى حياة الشهيد

٣- الصهاينة يهللون لاغتياله

٤- الرنتيسى شاعراً

تعريف بصاحب المذكرات

عبد العزيز على عبد الحفيظ الرنتيسى، ولد فى ٢٣/ ١٠/ ١٩٤٧ فى قرية يبنا (بين عسقلان ويافا)، لجأت أسرته بعد حرب عام ١٩٤٨ إلى قطاع غزة، واستقرت فى مخيم خان يونس للاجئين، وكان عمره وقتها ستة شهور.

نشأ الرنتيسى بين تسعة إخوة وثلاث أخوات.

التحق عبد العزيز الرنتيسى فى سن السادسة بمدرسة تابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، وقد اضطرته ظروف عائلته الصعبة إلى العمل وهو فى سن السادسة ليساهم فى إعالة أسرته الكبيرة.

وقد كان متميزًا فى دراسته، حيث أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٦٥، وتوجه إلى الإسكندرية ليلتحق بجامعتها ويدرس الطب.

أنهى دراسته الجامعية بتفوق وتخرج عام ١٩٧١، وعاد إلى قطاع غزة ليعمل فى مستشفى ناصر، المستشفى الرئيسى فى خان يونس، وبعد أن خاض إضرابًا مع زملائه فى المستشفى احتجاجًا على تعمد إدارة الصحة منعهم من السفر لإكمال دراستهم العليا، تمكن من العودة إلى الإسكندرية ليحصل على درجة الماجستير فى طب الأطفال، وفى عام ١٩٧٦ عاد إلى عمله فى مستشفى ناصر.

متزوج وأب لستة أبناء (ولدان وأربع بنات)، وجد لعشرة أحفاد.

شغل الدكتور الرنتيسى عدة مواقع فى العمل العام منها: عضوية هيئة إدارية منتخبة فى المجمع الإسلامى، وعضو الهيئة الإدارية المنتخبة لعدة

دورات فى الجمعيّة الطبية العربية بقطاع غزة، إلى أن اعتقل عام ١٩٨٨ من قوات الاحتلال الصهيونى، وهو عضو فى الهلال الأحمر الفلسطينى.

عمل محاضراً فى الجامعة الإسلامية فى مدينة غزة منذ عام ١٩٨٦ وذلك بعد إقصائه تعسفيًا من قبل الاحتلال عن عمله فى المستشفى عام ١٩٨٤، ولم يسمح له بالعودة إلى المستشفى ثانية، وقد كتب ضابط ركن الصحة الصهيونى على ملفه (لا يسمح له بالعودة إلا بكتاب خطى من وزير الدفاع).

اعتقل الرنتيسى عام ١٩٨٢ بسبب رفضه دفع الضرائب لسلطات الاحتلال، وذلك بعد أن خاضت الجمعية الطبية إضرابًا استمر لمدة ثلاثة أسابيع وذلك احتجاجًا على الضريبة المضافة، وكان الرنتيسى أحد قادة هذا الإضراب عام ١٩٨١، وقد حدثت انتفاضة فلسطينية فى قطاع غزة خلال هذه الفترة تضامنًا مع الأطباء، وقد فرضت عليه الإقامة الجبرية خلال فترة الإضراب.

انتسب الرنتيسى إلى جماعة الإخوان المسلمين ليصبح أحد قادتها فى قطاع غزة ويكون أحد مؤسسى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى غزة عام ١٩٨٧.

وكان أول من اعتقل من قادة الحركة بعد اشتعال الانتفاضة الفلسطينية الأولى فى التاسع من ديسمبر ١٩٨٧، ففى ١٥/١/١٩٨٨ جرى اعتقاله لمدة ٢١ يومًا بعد عراك بالأيدى بينه وبين جنود الاحتلال الذين أرادوا اقتحام غرفة نومه فاشتبك معهم لصدهم عن الغرفة، فاعتقلوه دون أن يتمكنوا من دخول الغرفة.

وبعد شهر من الإفراج عنه تم اعتقاله بتاريخ ٤/٣/١٩٨٨ حيث ظل محتجزًا فى سجون الاحتلال لمدة عامين ونصف العام، حيث وجهت له تهمة

المشاركة فى تأسيس وقيادة حماس وصياغة المنشور الأول للانتفاضة، بينما لم يعترف فى التحقيق بشئ من ذلك، فحوكم على قانون «تامير»، ليطلق سراحه فى ٤/ ٩/ ١٩٩٠، ثم عاود الاحتلال اعتقاله بعد مائة يوم فقط بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٩٠ حيث اعتقل إداريًا لمدة عام كامل.

وفى ١٧/ ١٢/ ١٩٩٢ أبعد مع ٤١٦ مجاهد من نشطاء وكوادر حركتى حماس والجهاد الإسلامى إلى جنوب لبنان، حيث برز كناطق رسمى باسم المبعدين الذين رابطوا فى مخيم العودة فى منطقة مرج الزهور لإرغام سلطات الاحتلال على إعادتهم وتعبيرًا عن رفضهم على قرار الإبعاد الصهيونى، وقد نجحوا فى كسر قرار الإبعاد والعودة إلى الوطن وإغلاق باب الإبعاد إلى يومنا هذا.

اعتقلته سلطات الاحتلال فور عودته من مرج الزهور، وأصدرت محكمة صهيونية عسكرية عليه حكمًا بالسجن لمدة ثلاث سنوات ونصف السنة، ليفرج عنه فى ٢١/ ٤/ ١٩٩٧ بعد انتهاء مدة الحكم.

وخرج من المعتقل ليباشر دوره فى قيادة حماس التى كانت قد تلقت ضربة مؤلمة من السلطة الفلسطينية التى قامت باعتقاله بعد أقل من عام من خروجه من سجون الاحتلال، وذلك بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٩٩٨، بضغط من الاحتلال كما أقر له بذلك بعض المسئولين الأمنيين فى السلطة الفلسطينية، وأفرج عنه بعد ١٥ شهرًا بسبب وفاة والدته وهو فى المعتقلات الفلسطينية، ثم أعيد للاعتقال بعدها ثلاث مرات ليفرج عنه، بعد أن خاض إضرابًا عن الطعام وبعد أن قصف المعتقل من قبل طائرات العدو الصهيونى وهو فى غرفة مغلقة فى السجن المركزى، فى الوقت الذى تم فيه إخلاء السجن من الضباط وعناصر

الأمن خوفًا على حياتهم، لينهى بذلك ما مجموعه ٢٧ شهرًا فى سجون السلطة الفلسطينية.

لقد حاولت السلطة اعتقاله مرتين بعد ذلك، ولكنها فشلت بسبب حماية الجماهير الفلسطينية لمنزله.

تمكن الدكتور الرنتيسى من إتمام حفظ كتاب الله فى المعتقل، وذلك عام ١٩٩٠ بينما كان فى زنزانة واحدة مع الشيخ المجاهد أحمد ياسين، وله قصائد شعرية تعبر عن انغراس الوطن والشعب الفلسطينى فى أعماق فؤاده، وهو كاتب مقالة سياسية تنشرها له عشرات الصحف.

ولقد أمضى معظم أيام اعتقاله فى سجون الاحتلال وكل أيام اعتقاله فى سجون السلطة فى عزل انفرادى.

والدكتور الرنتيسى يؤمن أن فلسطين لن تتحرر إلا بالجهاد فى سبيل الله.

***

٢- تفاصيل اللحظات الأخيرة فى حياة الشهيد

روى النجل الأكبر للشهيد عبد العزيز الرنتيسى تفاصيل اللحظات الأخيرة فى حياة والده قبيل اغتياله، وقال محمد إن والده قضى عشية اغتياله الليل وهو يتحدث إلى العائلة المشتاقة إليه ولا تراه إلا قليلاً.

وأضاف: لم تكن حياة الرنتيسى عادية بكل ما تحمل الكلمة من معان، ولكنها كانت حياة قائد عليه واجبات حركة بأكملها وفى الوقت نفسه عليه أن يتصرف كمطارد ينتقل من منزل إلى آخر بطرق خفية ومستعصية حتى آخر لحظة من حياته. وقال إن والده ومنذ مبايعته خليفة للشيخ أحمد ياسين امتنع عن الذهاب إلى بيته فى حى الشيخ رضوان بمدينة غزة، وكان يعيش فى مقار سرية آخذًا أعلى درجات الحيطة والحذر ولا ينتقل إلا نادرًا، ولكنه عاد أخيرًا فجر السبت السابع عشر من أبريل بعدما علم أن أخاه صلاح قدم من خان يونس لرؤيته والسلام عليه كما وصلت ابنته إيناس كى تطمئن على أبيها وتقضى ساعات معه، وقرر أن يقضى عدة أيام مع أبنائه وزوجته دون أن يخرج، لاسيما بعد فشل محاولة اغتياله فى يونيو ٢٠٠٣ واغتيال الشيخ ياسين فى شهر مارس الماضى.

وقال: إنه جلس يتحدث عن زواج أخى أحمد الذى أصيب خلال محاولة الاغتيال الأولى وذلك بعد أن حصل على مدخراته من الجامعة الإسلامية وسدد ما عليه من ديون واقتطع مبلغًا من المال لزواج أحمد (٢١ عامًا) وقال لنا: الآن أقابل ربى نظيفًا لا لى ولا على!».

وأضاف نجل الشهيد: استيقظ أبى واغتسل وتعطر، وأخذ ينشد - على

غير عادته- نشيداً إسلاميًا مطلعه : «أن تدخلنى ربى الجنة هذا أقصى ما أتمنى» وأضاف : التفت إلى والدتى وقال لها : إنها أفضل الكلمات التى أحبها فى حياتى، وحينها شعرت بالقلق!.

وأشار إلى أن مرافقه أكرم نصار (٣٥ عامًا) لم يتصل به منذ مدة طويلة تصل إلى أسبوعين، وإنما كان ينسق بعض تحركاته وفق شفرة معينة لبعض التنقلات، ولكنه وصل إلى منزلنا عصر ذلك اليوم وتحدث مع والدى قليلاً واتفقا على الخروج رغم أنه كان ينوى البقاء فترة أطول.. فطلبنا منه عدم الخروج، ولكنه أصر على ذلك!

وواصل قائلاً : قبل أذان العشاء بقليل خرج والدى برفقة أخى أحمد الذى كان يقود سيارة من نوع (سوبارو) ذات نوافذ معتمة، متنكرًا بلباس معين، وأوصله إلى مكان محدد فى مدينة غزة متفق عليه سابقًا، وبعد دقائق وصلت إلى المكان سيارة سوبارو أخرى يستقلها أكرم نصار ويقودها أحمد الغرة الذى يعمل بشكل سرى ضمن صفوف كتائب القسام، وبهدوء انتقل الرنتيسى من سيارة نجله إلى السيارة الأخرى التى انطلقت به مسرعة إلى هدف لم يحدد، لكن صاروخين من طائرات الأباتشى «الإسرائيلية» كانا أسرع من الجميع.

وقال محمد : عندما سمعت صوت القصف اتصلت سريعًا بأخى أحمد لأطمئن، ورد علىّ، وهنا اطمأننت قليلاً، ولكن يبدو أن أحمد كان يدرك ما حدث وانتظر حتى يتأكد من الأمر، حيث عاد إلى المكان وشاهد السيارة المشتعلة وقد تحولت إلى ركام.. وأيقن بما جرى.

وأضاف محمد : أسرعت إلى مكان القصف، وعندما شاهدت السيارة علمت أن والدى بين الشهداء، رغم ما حاوله البعض من التخفيف بالقول إنه أصيب. أما أمى فقد استقبلت النبأ بكل قوة وعزيمة، وأخذت بالتسبيح

والتهليل، شقيقتى أجهشت بالبكاء.. كنا متماسكين، هذا قدرنا ونحن راضون بقضاء الله.

وتعكس اللحظات الأخيرة من حياة الشهيد القائد، حرصه على اتخاذ إجراءات وتدابير أمنية عالية فى تحركاته، فإنه لم يكن يستخدم الاتصالات الهاتفية أو اللاسلكية، لكن ما يتمتع به الاحتلال من تكنولوچيا وعملاء ورصد على مدار الساعة يجعل من الصعوبة بمكان الإفلات من المصير.

وقال محمد إن الصورة التى فى أذهان الناس عن والدى هو الثورى الشديد، لكنه داخل الأسرة صاحب الحنان الكبير والقلب الرءوف الهادئ، وكان يحب الأطفال بدرجة كبيرة.

وأضاف: لم يترك أبى قصوراً وشركات وحسابات فى البنوك، بل ما تركه قائمة تفصيلية بما له وما عليه من أموال على المستوى الشخصى ومستوى حركة حماس.

وقالت زوجة الشهيد: «مما لا شك فيه أن عبد العزيز الرنتيسى كان مصدر قوة لحركة حماس، لكن حين يكتب الله نهاية أجله فإنه لن يضيع الحركة».

وكانت زوجة الشهيد قد استقبلت فى بيتها الكائن فى حى الشيخ رضوان بمدينة غزة آلاف النسوة الفلسطينيات اللواتى شاركن فى بيت العزاء، وقالت أمامهن وملامح الصمود ترتسم على وجهها: «أهنئ نفسى وإياكن بشهادة أبى محمد وأدعو الله أن يلحقنى به..».

وأضافت: إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا أبا محمد لمحزونون، لذلك أسأل الله العلى القدير أن يلهمنى الصبر أنا وأولادى وبناتى وكل الشعب الفلسطينى المسلم. وأضافت: لن ينتقم القساميون لاغتيال زوجى وأبى أبنائى، بل إن الشعب الفلسطينى هو الذى سينتقم».

٣- الصهاينة يهللون لاغتياله

اغتيال إيجابى . . هذا هو الوصف الذى أطلقه المراسل العسكرى لصحيفة «يديعوت أحرنوت» الإسرائيلية إليكس فيشمان على قيام مروحيات الأباتشى الإسرائيلية باغتيال الدكتور الشهيد عبد العزيز الرنتيسى فى غزة، حيث يرى الصحفى الإسرائيلى أن ذهاب الرنتيسى من الحلبة قد ينشئ تحولاً أكثر جوهرية فى عمل حركة حماس فى غزة، من الأثر الذى يمكن أن يحدثه اغتيال الشيخ الشهيد أحمد ياسين . ويبرر «فيشمان» ذلك بقوله : كان على الرنتيسى أن يختفى بسرعة ولو فقط من أجل أنه فتح أبواب غزة على مصراعيها لتأثير إيرانى مباشر، فى فترة ولايته القصيرة التى استطاع فيها أن يستدعى الإيرانيين وحزب الله ليكونوا أولياء على منظمة حماس فى غزة .

استراتيجية إسرائيلية

وحسب الصحيفة الإسرائيلية فإن قتال حماس يشتمل على كل شىء : ابتداءً من الاغتيالات وانتهاءً إلى التسلط على مسارات الأموال .

وترى «يديعوت أحرنوت» أن ضعف قيادة حماس بدأ باغتيال صلاح شحادة، الذى كان المدير العام للمنظمة - حسب تعبير الصحيفة - وعُرف كيف يدمج بين الجانب السياسى والجانب التنفيذى، ولم يقُم له وريث أيضًا، وتتوقع نشوء فراغ حقيقى فى حماس بعد اغتيال الرنتيسى، الأمر الذى يمكن أن يؤثر فى عملها فى المدى المتوسط والمدى البعيد، خصوصًا بعد أن أصبحت فى غزة تعانى من ضائقة اقتصادية صعبة جداً .

وتشير الصحيفة الإسرائيلية إلى أن الرد الدولى على اغتيال ياسين ورد العالم العربى والشارع العربى وحتى رد الشارع الفلسطينى - كان ضعيفًا

مقارنة مع التنبؤات، ويجب على هذا أن يوحى لحماس ولإسرائيل أن اغتيال زعيم لحماس هو ظاهرة مقبولة على الرأى العام العالمى، مما يعنى أن حماس تجد نفسها فى عزلة حسب وصف الصحيفة الإسرائيلية.

وترى الصحيفة أن اغتيال الرنتيسى لا يغير شيئًا من الرغبة فى الانتقام عند حماس، بل إن اغتياله سيضع حماس فيما يدعى فى إسرائيل «المرحلة الثالثة» من الاستعدادات لعملية تفجيرية، حيث تشير الصحيفة إلى أن المرحلة الأولى نفذت مباشرة بعد اغتيال الشيخ أحمد ياسين وكذلك مثل العملية فى مستوطنة أفنيه حفيتس بالضفة الغربية، أما المرحلة الثانية فهى عمليات أكثر تعقيدًا وتركيبًا - مثل العملية التى وقعت فى مستوطنة نتساريم وسط قطاع غزة والعملية التى وقعت فى معبر إيرز - أما المرحلة الثالثة التى تستعد حماس لها فهى مرحلة العملية الجماعية التى تخطط لها حماس، حسب المصادر الإسرائيلية، وهى المرحلة التى كانت ستصل إلى النضج مع اغتيال الرنتيسى أو بغيره حسب قول الصحيفة الإسرائيلية.

***

٤- الرنتيسى شاعرا

كتبت الزميلة الصحفية رشا علوان (جريدة آفاق عربية) عن الشاعر الدكتور عبد العزيز الرنتيسى، مقالة، أماطت فيها اللثام عن شاعر مرهف الحس غزير الكلمات والعواطف، متوهج الفكر والذهن، تقول: لم يكن الرنتيسى من الشخصيات القيادية العالمية الإسلامية فحسب، بل كان شاعراً أديبًا وخطيبًا مفوهًا، ولم يكن الشعر عنده مجرد هواية بل كان مبدعًا حقيقيًا تشهد له أعماله بالصدق والتميز. يقول فى قصيدته:

قم للوطن

قم للوطن.. وانثر دماك له ثمن

واخلع فديتك كل أسباب الوهن

فإذا قُتلت فلست أنت بميت

فانعم بعيش لا يبيد مع الزمن

أفمن يذوق القتل فى ساح الوغى

يجلو كما الترياق أوصاب البدن؟

أمن يعيش العمر ميتًا يشتهى

طعم البلى فيرد كلا ولا ولن؟

قم واصنع التاريخ وارفع هامه

قد لطخ التاريخَ أذنابُ الوثن

وارق الشـــدائد ترق أســـبـــاب العـــلا

ودع الســـفـــوح فـــمن يهن أبدًا يهن

مـــــــزق إهـاب الـليـل وانـزع ثـوبـه

واخطف عيون الفجر من حجب الوسن

خل البكاء إلى النســـاء ســـجـــيـــة

واربأ بنفـــسك أن تســـربل بالحـــزن

من للبـــلاد وقـــد تدنس قـــدســـهـــا

إن لم يكن صـيـد الرجـال إذن فـمن؟

من ينقـــذ المســـرى ويمـــسح همـــه

أسـد الشـرى أم صب خـضـراء الدمن؟

قـــولوا لخـيـبـــر إذ تعـــود لغـــدرها

وتقـيم مـا ابتـدع اليـهـود من السنن:

لا طاب عـــيش إن نجـــوت فـــأبشـــرى

بكتـائب الفـرسـان خلف أبى الحـسن

وهناك ذا القـــعـــقـــاع ينثـــر رمـــســـه

ويحـل من الرقـــــاد عـــــرى الكـفـن

«يحـيى» المهندس قـام يسـرج خـيله

مـــا عـــاد يخـــمـــد غـيـــره نار الفتن

إن جـردت أسـد الكتـائب سـيـفـهـا

ســـهل البـــلاد وغـــورها أبدًا يُصن

أمـــا إذا صـــار التـــخـــاذل منهـــجًـــا

كـــــلا وربك لن يـقـــــام لـنا وطـن

وله قصيدة غنائية أخرى تتميز بعمق الإحساس وصدق الشعور، سماها «حديث النفس»، وشهدت نجاحًا بالغًا، حيث يخاطب ذاته فى معتقل النقب عندما كان الأرق يغطى وجوه وعيون الشباب الذين كان يلفحهم سموم الصيف، ويعضهم زمهرير الشتاء، ولأول مرة يرون أنفسهم بعيدين عن الأحبة، هممهم عالية، ولكن النفس أحيانًا يداعبها الحنين والشوق؛ فتحدث صاحبها، وتعاتبه أن ترك النعيم من أجل الوطن، ولكن يثور فيقرِّعها ثم يعالجها فتعود راضية مطمئنة، من هنا بدأت قصيدة «حديث النفس» وفيها تتحدث النفس لصاحبها ويرد عليها حتى يغلبها.

النفس:

مـاذا دهاك يطيب عـيشك بالحَزن؟!

تشرى النعيم وتمتطى صهو الصعاب

مـــاذا عليك إذا غـــدوت بلا وطن

فانعم ترى ذا العيش فى ظل الشباب

هـــو:

يا هذه يهـــديك ربى فـــارجـــعى

القدس تصرخ تستغيثك فارجعى

والجنب منى بات يجفو مضجعى
فالموت خير من حياة الخنَّع
ولذا فشدى همتى وتشجعى

النفس:

ها أنت ترسف بالقيود بلا ثمن
وغدا تموت وتنتهى تحت التراب
وبنوك واعجبى ستتركهم لمن
والزوج تسلمها فتنهشها الذئاب

هـــو:

القيد يظهر دعوتى يوما فَعى
وإذا قتلت ففى الإله مصرعى
والزوج والأبناء مذ كانوا معى
فى حفظ ربى لا تثيرى مدمعى
وعلى البلاء تصبرى لا تجزعى

النفس:

إنى أخاف عليك أن تنفى غدا
ويصير بيتك خاويًا يشكو الخراب
وتهيم بحثًا عن خليل مؤتمن
يبكى لحالك أو يشاطرك العذاب

هـــو:

إن تصـبـرى يا نفس حـقًـا تُرفـعى
فى جنة الرحـــمن خـــيـــر المرتع
إن الحـــيـــاة وإن تطل يأتى النعى
فـــإلى الزوال مـآلهـا لا تطمـعى
إلا بنيل شـهـــادة فـتـشـفـعى

النفس:

إنى أراك نذرت نفـــسك للمـــحن
وزهدت فى دنيـا الثعـالب والكلاب
وعـشـقت رمـلاً يحـتـويك بلا كـفن
ورجـوت ربى أن تكون على صـواب

هـــو:

أنـا لن أبيت منكسًـــــا للألمعى
وعلى الزناد يظل دومًـا إصـبـعى
ولئن كـرهت البـذل نفسى تصـفـعى
من كل خـــوار ومـــخـــتـــال دعى
وإذا بذلت الغـالى مـجـدًا تصنعى . .

النفس:

إنى أعـــيـــــذك أن تذل إلى وثن
أو أن يعـود السيف فى غـمد الجـراب

فـاقض الحيـاة كـمـا تريد فـلا ولن

أرضى حـيـاةً لا تظللهـا الحـراب

إلى الـعـــلا بلا حـــســـاب

إلى الـعـــلا بلا حـــســـاب

إلى الـعـــلا بلا حـــســـاب

وقد كتب قصيدة أخرى إلى أم الشهداء وصانعة الرجال حركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى عرس ابنها الشهيد رامى بعنوان «**وحسبك أن كل الشعب رامى**» يقول فيها :

ســـــرى لـلـخـلـد بـدرا فـى الـظـلام

بـلـيـل عـــــاصـف بـالـمـوت دام

وأسـلـم روحـــــه لـلـه يســـــعى

وفى أنفـــاســـه طهـــر الغـــمـــام

مـــضى والقـــدس فى عـــينيـــه حلم

يبـــــدد كـل أحـــــلام الـنيـــــام

ومـــــثلك يا فـــتى الإســـلام يأبى

يمـــوت بغـــيـــر أســـيـــاف اللئـــام

وإنّا أمـــــــة إمـــــا رمـــــتنا

الأعـــادى، كنت عـنا خـــيـــر رام

فـــحـــســـبك يا ابنة القـــســـام منه

وداع خطّه بـالابـتـــــــســـــــام

أمـــــا يرضـــــيك أن لـه المعـــــالى

وأن ســـــــواه ثـاوٍ فى الرغـــــام؟

أمـــا يرضـــيك منه الروح تســـعى

مع الشـــهـــداء والصـــحب الكرام؟

أمـــا يرضـــيك أنوار تعـــالت

من الأقـــداس للبـــيت الحـــرام؟

أمـــا يرضـــيك أن له مـــقـــامًـــا

يضـــــاهى رتبـــــة الرسل العظام؟

لئن كـــان الرحـــيل لخـــيـــر أرض

فـــمـــا مـعنى البكاء على الحِـمـــام؟

وخـــيـــر الناس من بدءوا بخـــيـــر

وكـــان الخـــيـــر منهم فى الخـــتـــام

فـــلا تزجى الدمـــوع عليـــه حـــزنًا

وحـــســـبك أن كل الشـــعب رامى

وكتب قصيدة (التحدى إلى الحكام العرب) قال فيها:

أحيـوا ضـمـائركم أمـا بقيت ضـمـائر؟

فـتـجـارة الأوطان من كـبـرى الكبـائر

عـودوا إلى أطفـال غـزة تسـمـعـوا

عن مـولد الإصبـاح من رحم الدياجـر

عـودوا إلى القـسـام يسلخ من ظلام

الليل بالأكـفـان مـجـدًا للأواخـر

ونـراه يغـزل فى الدجى المسكون

بالآهات من خيط الأصيل مُدى الخناجر

عـودوا إلى المشلول «ياسـين» العـلا

بحـمـاسـه دارت على البـغى الدوائر

من جـوف بطن النون يهـتف غـاضبًـا :

لا سلم أو يجلو عن الأقـصى الكوافـر

عـودوا إلى الخنسـاء تكظم غـيظهـا

لتـثـور بركـانًا يزلزل كل خـائر

عـودوا إلى الرشـاش تخـضله اللحى

بخـنادق الإخـوان بصـور باهر

عـودوا إلى يبنا إلى يافـا إلى

بيـسـان ترقب من يزف لهـا البـشـائر

للمـجـدل المحـزون يسكب فى الدجى

عـبـراته الحـرى على أطلال عـاقـر

لجبالنا الشماء ترفع هامها

لمروجنا الخضراء تنتظر الحرائر

عودوا إلى آثارنا آبارنا

أشجارنا الخضراء تنتظر الحرائر

عودوا إلى مرج الزهور لتعلموا

أن المبادئ لا تذل إلا مكابر

يا زمرة الأقزام كيف ترونها

أرضًا بلا شعب؟ فتعسًا للمغائر

فلمن فلسطين الرباط؟ ومن له

المسرى؟ وحتى النصر أين وأين ثائر؟

أين الشعارات التى قد ظللت

منا الألوف وزيفت فيض المشاعر؟!

كم أزكمت منا الأنوف ترى! وكم

قد بُح من فرط النباح بها حناجر!

النصر آتٍ أين هو؟ فالعين لا

تعنى ولكن يا لها تعمى البصائر

فالنصر يُهدى للتقاة تفضلاً

والله لا يعطى سنام النصر فاجر

يا أيهـــا المهـــزوم لم يسلم لنا

وطن ولا بقـــيت تلملمنا أوامـــر

لكننى والحق يشـــهـــد أننى

أأبى القنوط فـذاك من شـيم الكوافـر

فـــغـــدًا تعـــود لنا الديار تبـــثنا

أشـواقـهـا ونقـيل فى ظل البـيـادر

ومن العوامل التى أنضجت تجربة د. الرنتيسى الإبداعية، رؤيته للموت فى كل مكان حيث كان كما يقول «ذا حس عال بالأحداث من حوله، وكانت تجيش من صدره الآلام» فقد أخرج الإبداع الكامن بنفسه عن طريق الخطابة والشعر، وأحيانًا كثيرة كان يكتب خواطره عن كل ما يجيش بنفسه، وكان لديه أسلوب رائع فى إقناع من معه بهذه اللغة، وقد أفاده حفظه للقرآن الكريم كاملاً حيث كانت كلماته بها الرصانة وقوة الإيحاء.

كما تأثر بفترة مكوثه فى السجن حيث تفجرت ينابيع الشعر عنده فى المعتقلات الإسرائيلية بعد أن تعلم عروض الشعر وأصوله على يد أحد أساتذة اللغة العربية تصادف وجوده معه فى المعتقل.

ويقدم لإحدى تجاربه العاطفية بقوله: مكثت فى زنزانتى خلف الأبواب الموصدة أحمل أشواقًا تكاد تكون قد تحولت إلى أشواك، أتوق لرؤيتها ثانية، واهتبلت الفرصة، وامتشقت القلم، وصورت مشاعرى فى أبيات من الشعر، كان ذلك عام ١٩٩٦م والقصيدة تقول:

رأيت النور يضحك فى ضحاها

ويسطع فى دجى الدنيا سناها

وطيبٌ من أريج المسك تزكو

به النسمات بعضٌ من شذاها

وتبسط زهرة الحنون خدا

عسى تقربه تقبيلا شفاها

ويظل يسرد فى صفاتها إلى أن يتوجع من قيد السجن فيقول :

ولولا ثقلة القيد امتطينا

لأسمى كل صعب كى نراها

رحم الله الرنتيسى شهيدًا ومجاهدًا وشاعرًا وخطيبًا وأديبًا وجزاه عنا وعن الإسلام خير الجزاء .

***

هذه ذكرياتى

فى السطور التالية، يتحدث الدكتور عبد العزيز الرنتيسى - باقتضاب - عن ميلاده ومعاشه وجهاده، هى ليست مذكرات، وإنما ذكريات، تلاحظ فيها علو الهمة وانشغال البال بقضية وحيدة، لم يتطرق الشهيد لقضية غيرها.. قضية اسمها تحرير فلسطين من دنس اليهود..

(١)

أينما وليت شطر ذكريات مرت بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، وجدت أن المعاناة الناجمة عن احتلال فلسطين تصبغ كل شيء في حياتنا كشعب فلسطيني، وأجدني مضطرًا إلى العودة إلى أحداث من تلافيف الماضي البعيد التي حتمًا ستسلط بعض الضوء على حجم الكارثة التي حاقت بالشعب الفلسطيني الذي لم يكن له من ذنب إلا أنه شعب فلسطيني مسلم، وقد غلف اليهود جرائمهم بحق شعبنا المعذب على أيديهم بغلاف توراتي أسطوري، ولقد حفرت بعض المآسي أخاديد عميقة في الذاكرة فلا يمكن نسيانها، ومنها:

مذبحة خان يونس عام ١٩٥٦:

في عام ١٩٥٦ إبان العدوان الثلاثي على مصر احتل الصهاينة قطاع غزة، وارتكبوا مجازر بشعة كعادتهم ولكن هذه المرة في مدينة «خان يونس» حيث كنت أقيم في مخيمها منذ أخرجت مع أسرتي من قريتي «يبنا» التي تقع بين «أسدود» و«يافا» وأنا ابن ستة أشهر لأجد نفسي في معسكر «خان يونس» للاجئين الفلسطينيين. لقد ارتكبت المجازر بحق المدنيين الفلسطينيين، حيث كان اليهود يقتحمون البيوت ويقتلون جميع من فيها من رجال أمام أزواجهم وأبنائهم، وكان لي عم يدعى «جامد الرنتيسي» ولم يكن لأبي إخوة غيره، ولقد اقتحم اليهود بيته كما اقتحموا بيوت الجيران، وكان يجلس مع زوجته وأبنائه، فصوبوا عليه السلاح فما كان من ابن عمي «موفق» ابن تسع سنوات إلا أن ألقى بنفسه على والده، ولكن القتلة اليهود لم يكترثوا لهذا المشهد، ولم يترددوا في إطلاق رصاص بنادقهم فقتلوا الوالد وأصابوا الطفل بجراح

متوسطة فى ساعده، وبعد أن اقترفوا جريمتهم تلك انتقلوا إلى البيت المجاور بيت آل «السعدونى» حيث كان أربعة إخوة فأمروهم بالوقوف، ووجوههم إلى الجدار، ثم أطلقوا عليهم الرصاص فحصدوا أرواح ثلاثة منهم وقفز الرابع عن الجدار فأصابوه فى قدمه ولكن تمكن من الفرار ليبقى شاهداً على المجزرة حتى يومنا هذا وهو السيد خميس السعدونى.

لقد قتل الصهاينة فى مذبحة خان يونس بدم بارد ٥٢٥ فلسطينيًا جميعهم من المدنيين الأبرياء، ولقد تعفنت جثثهم فى شوارع المخيم وكان الأمر لا يطاق، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الفقر إحدى جرائم الاحتلال

لقد كنا فى وطننا نعيش حياة كريمة ميسورة: بيت جميل فى «يبنا» مازال قائمًا حتى يومنا هذا وقد ولدت فيه، وبستان واسع يحيط بالبيت من كل جانب، ولكن الصهاينة الذين اغتصبوا الوطن وشردوا أهله وضعونا بين فكى الفقر يطحننا طحنًا، مما اضطر أخى الذى يكبرنى مباشرة أن يترك دراسته ليتعلم حرفة يستطيع من خلالها الإنفاق علينا، وكان الوالد قد توفى عام ١٩٦٢ ليصبح أخى رب الأسرة، ولكن دخله من هذه الحرفة وهى «الحلاقة» كان زهيداً جداً، فأخذ يرنو إلى الذهاب إلى السعودية وهو ابن العشرين من العمر علّه يجد عملاً ينقذنا به من براثن الفقر، وفى عام ١٩٦٤ عقد العزم على السفر، وفى هذا العام كنت أشق طريقى إلى الثانوية العامة، فخرجنا لوداعه بعد صلاة الفجر مباشرة نسير على أقدامنا متجهين إلى محطة القطار، وبينما نحن نسير إذا بالوالدة رحمها الله تقول لى: يا بنى اعط حذاءك لأخيك حتى لا يذهب إلى السعودية حافى القدمين، وأما أنت فيرزقنا الله ونتمكن من شراء حذاء لك قبل بداية العام الدراسى الذى كان فعلاً على الأبواب، وقد فعلت

وأعطيت أخى الحذاء الذى كنت قد اشتريته من الأحذية المستخدمة بمالايم قلائل، وعدت إلى البيت حافيًا.

لقد دمر الاحتلال فى الضفة الغربية وقطاع غزة البنية التحتية للشعب الفلسطينى، وانصبّ اهتمام العدو على نهب ثروات هذا الشعب واستنزاف اقتصاده بالرغم من الضعف الشديد فى البنية الاقتصادية للشعب الفلسطينى، ففضلاً عن أن مرتبات الموظفين الفلسطينيين فى مختلف الوظائف لا تصل إلى ثلث مرتبات نظرائهم من اليهود مع أن الظروف المعيشية واحدة، إلا أن العدو الصهيونى كان يفرض ضرائب باهظة على الفلسطينيين من بينها ضريبة الدخل، وكذلك الضريبة المضافة التى تصل إلى ١٨٪ من مجمل الدخل. ولقد لاحق العدو الصهيونى العديد من الأطباء عام ١٩٨١ بهدف استنزافهم ضريبيًا، مما اضطررنا معه كقيادة منتخبة للجمعية الطبية العربية الفلسطينية - التى كانت بمثابة نقابة الأطباء- إلى إعلان الإضراب العام عن العمل فلا نستقبل إلا حالات الطوارئ، ولقد خضنا إضرابنا الطبى ضد الضريبة المضافة، ثم اتسع الإضراب ليشمل نقابة المحامين، وجمعية المهندسين، وبلدية «غزة» وبلدية «خان يونس»، وباقى الجمعيات والبلديات، وتحول الأمر إلى انتفاضة شعبية استمرت لمدة ثلاثة أسابيع، وقد سقط فيها شهيد واحد وعدد من الجرحى. ثم تحركت الضفة الغربية بإرسال الوفود وإصدار بيانات الدعم والتأييد وكادت تتسع رقعة الإضراب لتشمل الضفة أيضًا، ولكننا بعد ثلاثة أسابيع اضطررنا لوقف الإضراب بقرار ذاتى دون إلغاء الضريبة المضافة، وذلك رأفة بالوضع الصحى للشعب الفلسطينى، ولقد واصل الأطباء تحديهم من خلال قيامنا بجمع توقيعاتهم على مذكرة يرفضون فيها دفع الضريبة المضافة، وأثناء الإضراب اتخذ العدو الصهيونى قراراً بفرض الإقامة الجبرية

علىّ، مما حال بينى وبين ذهابى إلى مقر الجمعية الطبية فى مدينة غزة لعدة أيام وذلك لأننى كنت مقيمًا فى مدينة خان يونس.

وبعد فترة زمنية تصل إلى العام تقريبًا بدأتْ ملاحقتى من قبل الصهاينة الذين يعملون فى الضريبة المضافة، حيث استُدعيت إلى مقر الضريبة وطُلب منى دفع المستحقات فرفضت ذلك، فقاموا بعدها بمداهمة عيادتى الخاصة واستولوا على جميع محتوياتها، وأخذوا يساومونني على دفع الضريبة أو أنهم سيقومون ببيع العيادة فى المزاد العلنى، وكانت محتويات العيادة أغلى ثمنًا من الضريبة المطلوبة، ولكنى رفضت لمبدأية القضية؛ فرفض الضريبة فى واقع الأمر يُعتبر رفضًا للاحتلال، ولو تمرد الشعب الفلسطينى عن دفع الضريبة وطوروا الأمر إلى عصيان مدنى لضاق الاحتلال بذلك ذرعًا. ولقد حاول الصهاينة بعد ذلك الذهاب إلى بيتى لأخذ ما يمكن أخذه من ثلاجة وغسالة وتلفاز، ولقد حضروا إلىّ وقت دوامى فى عيادتى الخاصة حيث استمر عملى بها دون إعادة إعدادها بأجهزة وأثاث ذى قيمة وطلبوا منى الذهاب إلى البيت فرفضت لأنهم لم يكونوا على علم بعنوان البيت كرجال ضريبة، وقلت لهم متذرعًا: لن أسمح بالذهاب إلى البيت حتى تحضروا إذنًا من الشرطة بتفتيش البيت، ولكنهم والحمد لله رفضوا، وكان هدفى إخلاء البيت من أجهزة منزلية يمكنهم أخذها، واقتادنى الجند إلى سيارة خاصة بالضريبة بينما هم ساروا خلفها بسيارتهم العسكرية، وأخذوا يسألون عن بيتى فى الأحياء الراقية فى مدينة خان يونس، ولم يخطر ببالهم أننى أسكن فى بيت متواضع فى المخيم، وكانوا يطرقون أبواب البيوت ويسألون الناس عن بيتى فيقول لهم الناس: لا نعرف أين يقع بيت الدكتور، وبينما هم يبحثون فى الشوارع استوقفوا شابًا كان يسير على قدميه فى السابعة عشرة من عمره تقريبًا، وهذا الشاب كان جارًا لى

فسألوه: أين منزل الدكتور الرنتيسى؟ فنظر الشاب فرآنى معهم فقال لهم: لا أعرف المنزل، فحاولوا إرهابه إلا أنه أبى أن يدلهم على المنزل، وبعد ساعتين من البحث عن البيت تبادلنا خلالها الشتائم ذهبوا بى إلى الشرطة، وهناك احتجوا لدى مدير الشرطة متهمينني أنى أعطل عملهم، فقلت لمدير الشرطة: هذا قول غير صحيح لأننى طلبت منهم أن يحضروا إذنًا من الشرطة فرفضوا، وسأل مدير الشرطة مسئول الضريبة: هل طلب منك ذلك؟ فقال له: نعم، فلامه على عدم استجابته، وبينما نحن كذلك إذ همس فى أذنى شرطى فلسطينى من خان يونس قائلاً: إن البيت قد تم تنظيفه، وهنا قلت لمدير الشرطة: إذا أذنت لهم فلا مانع لدىّ من الذهاب إلى البيت، وفعلاً ذهبنا إلى البيت وعادوا بخفى حنين، ثم بيعت العيادة فى المزاد العلنى، وقدر الله سبحانه أن يشترى محتويات العيادة رجل فاضل وهو ابن الداعية والمحسن الكبير الحاج «صادق المزينى» فلما علم أنها لى اتصل بى ورد محتويات العيادة إلىّ وأقسم أيمانًا مغلظة ألا يأخذ المبلغ الذى دفعه للمزاد، وفعلاً لم يأخذ شيئًا رغم إلحاحى الشديد فجزاه الله من كريم خيرًا.

ثم فوجئت باستدعائى للمحكمة العسكرية، وذلك بتهمة استنكافى عن دفع الضريبة المضافة، ولقد أكدت أمام القاضى العسكرى رفضى دفع الضريبة المضافة لقوات الاحتلال، وطعنت فى شرعية المحكمة، وبعد ثلاث جلسات حكم القاضى علىّ بدفع الضريبة بالإضافة إلى عقوبة تمثلت بدفع غرامة مالية خلال شهرين أو الاعتقال لمدة ستة أشهر بدلاً من الغرامة، وانقضت المدة الزمنية ولم أدفع الغرامة وعندها قاموا باستدعائى إلى مركز الشرطة ومساومتى على أن أدفع مبلغًا رمزيًا لكى لا أعتقل، وكانوا يخشون أن يحرض اعتقالى على التمرد على دفع الضريبة، فكان همّهم كسر إرادتى ولو بتقليص المبلغ إلى

شيء رمزى، ولكنى رفضت مما اضطرهم إلى اعتقالى بعد إعطائى مهلتين إضافيتين للتفكير ولكن لم يتغير رأيى، ودخلت المعتقل وتعرفت هناك على شباب مسلم مجاهد قد شكلوا نواة لحركة إسلامية فى معتقلات العدو، فالتقيت فى غرفة رقم «٦» قسم «ب» بالمجاهد جبر عمار والمجاهد محمد نصار وغيرهما من الإخوة الأفاضل، وبعد دخولى المعتقل حاولوا مرارًا أن يثنونى عن موقفى لكى أغادر إلى البيت ولكنى رفضت، وقد سمحوا لوفود من الجمعية الطبية بزيارتى بهدف إقناعى بدفع المبلغ إلا أنى أبيت ذلك، وفوجئت فى اليوم التاسع بالإفراج عنى، وعندما خرجت اكتشفت أن الجمعية الطبية قامت بدفع الغرامة المالية دون إذن منى.

الاحتلال وكلية التمريض

لقد عمل الصهاينة على إفساد مهنة التمريض فى قطاع غزة، وكان ضابط ركن الصحة يحرص على تعيين مدراء أقسام التمريض ممن اشتُهروا بأخلاقهم الهابطة إلا من رحم الله، ولقد فكرنا فى إنشاء كلية التمريض فى الجامعة الإسلامية، وكنت والدكتور «محمود الزهار» من وراء هذه الفكرة، ولكن الأمر لم يرُق لليهود الذين لا يريدون أن ينهض التمريض نهضة أخلاقية قيمية، فبدأت المعركة التى استمرت خمسة وأربعين يومًا، بدأت باستدعائنا من قبل مكتب الحاكم العسكرى الصهيونى كلٌ فى مدينته -فبينما كنت أقيم فى «خان يونس» كان الدكتور الزهار يقيم فى مدينة «غزة» -ليطلبوا منا عدم فتح هذه الكلية، وعندما قوبل هذا الطلب بالرفض القاطع، أرسل العدو الصهيونى قوة عسكرية لتحاصر عيادتى الخاصة فى «خان يونس» وكذلك عيادة الدكتور «الزهار» فى «غزة»، ويستمر الحصار طوال ساعات العمل. أثناء الحصار كانوا يرهبون المرضى ويطالبونهم بإظهار البطاقات الشخصية ومن لم يكن حاملاً

بطاقته الشخصية كالنساء مثلاً يردونه ويمنعونه من دخول العيادة. وبما أننى طبيب أطفال فمعظم الحضور كانوا من النساء بأطفالهن، فكانوا يردونهن وأطفالهن رغم أن عددًا كبيرًا منهن كان يأتى من مدن أخرى كمدينة «رفح» مثلاً، أو من قرى بعيدة نسبيًا عن خان يونس. وعند نهاية الدوام فى العيادة كنت أركب سيارتى عائدًا إلى المنزل فتقوم القوة العسكرية المحمولة بسيارة عسكرية ناقلة للجنود بمتابعتى حتى أصل البيت، ورغم أننى كنت أشعر بضيق لا يعلمه إلا الله إلا أننى والدكتور «الزهار» لم نستسلم. وبعد حوالى الشهر من هذه المضايقات اليومية استُدعيت من قبل الحاكم العسكرى الذى قال لى إن هذه المضايقات لن تتوقف إلى أن تغلق كلية التمريض، فقلت له: إننى لا أريدها أن تتوقف فيكفينى أن الناس وهم يرون ما تفعلون بى يرفعون أكفهم قائلين: اللهم انصر الدكتور عليه. وبعد قولى هذا توقفوا لمدة ثلاثة أيام شعرت خلالها بأن كابوسًا قد أزيح عن صدرى، ولكنهم عادوا ثانية إلى ما كانوا يقومون به من مضايقات فكانت عودتهم أشد همًا وكربًا، إلا أننا صبرنا حتى فشلوا فى حملتهم وانتهت دون أن يحققوا هدفهم، ومازالت كلية التمريض قائمة حتى يومنا هذا والحمد فى ذلك لله وحده.

ومن عجائب القدر أن ضابطًا يهوديًا كان يعمل فى شرطة «خان يونس» قد مرضت ابنته، وعالجها داخل الكيان الصهيونى ولكنه لم يُكتب لها الشفاء، فنصحه ضباط الشرطة الفلسطينيون الذين يعملون معه أن يذهب بها لعيادتى الخاصة قائلين له ليس لهذا الأمر إلا الدكتور «الرنتيسى»، وعندما وصلت إلى مدخل عيادتى فى ذلك اليوم رأيت ضابطًا صهيونيًا شرطيًا يقف على قارعة الرصيف المقابل للعيادة، فقلت فى نفسى: ربما تريد الشرطة الصهيونية أن تنضم إلى عملية الحصار التى يقوم بها الجنود، خاصة أنه كان يقف وحده أى

لم تكن معه طفلته، ولكن بعد قليل دخل العيادة موظف مسئول فى دائرة إصدار البطاقات الشخصية فى الداخلية وهو فلسطينى من عائلة كبيرة فى خان يونس وأخبرنى أن فى الخارج ضابط شرطة صهيونيًا ابنته مريضة ولقد عالجها لدى أطباء صهاينة ولكن عبثا، فقلت له: ألم تر كيف يحاصر الجنود العيادة ويحرمون أطفال المسلمين من العلاج، فكيف أعالج أطفالهم فى الوقت الذى يحرمون فيه أطفالنا من العلاج؟! ورفضت بشدة، وألح علىّ إلا أننى أبيت، فخرج ولكن لم يكن راضيًا، وبعد حوالى نصف الساعة جاءنى ضابط فلسطينى يعمل فى الشرطة وهو رجل دمث الخلق ومواظب على الصلاة فى المسجد الذى أصلى فيه، وطلب منى أن أعالج الطفلة فرفضت فألح علىّ فأبيت، فأقسم ألا يخرج من العيادة حتى أعالجها، فلم أستطع المقاومة، وقلت له: اذهب فأحضرها ولا تحضر والدها معها، وقدر الله أن يُكتب لها الشفاء فى أقل من ٢٤ ساعة والحمد لله، وبعد خمسة وأربعين يومًا توقف الجند عن الحصار فجأة، وانتصرت الإرادة وانكشفت الغمة وبقيت كلية التمريض والحمد فى ذلك لله وحده.

***

(٢)

كنت أحد قياديى حركة الإخوان المسلمين السبعة فى «قطاع غزة» عندما حدثت حادثة المقطورة، تلك الحادثة التى صدمت فيها مقطورة صهيونية سيارة لعمال فلسطينيين فقتلت وأصابت جميع من فى السيارة، واعتبرت هذه الحادثة عملاً متعمداً بهدف القتل مما أثار الشارع الفلسطينى، خاصة أن الحادثة جاءت بعد سلسلة من الاستفزازات الصهيونية التى استهدفت كرامة الشباب الفلسطينى خاصة طلاب الجامعات الذين كانوا دائمًا فى حالة من الاستنفار والمواجهة شبه اليومية مع قوات الاحتلال، وقد خرجت على إثر حادثة السيارة المتعمدة هذه مسيرة عفوية غاضبة فى جباليا أدت إلى سقوط شهيد وعدد من الجرحى، فاجتمعنا نحن قادة الإخوان المسلمين فى قطاع غزة على إثر ذلك وتدارسنا الأمر واتخذنا قراراً مهمًا يقضى بإشعال انتفاضة فى قطاع غزة ضد الاحتلال الصهيونى، وتم اتخاذ ذلك القرار التاريخى فى ليلة التاسع من ديسمبر ١٩٨٧، وقررنا الإعلان عن «حركة المقاومة الإسلامية» كعنوان للعمل الانتفاضى الذى يمثل الحركة الإسلامية فى فلسطين، وصدر البيان الأول موقعًا بـ«ح.م.س»، هذا البيان التاريخى الذى أعلن بداية انتفاضة سيكتب لها أن تغير وجه التاريخ بإذن الله، وبدأنا الانتفاضة انطلاقًا من المساجد، واستجاب الناس، وبدأ الشعب الفلسطينى مرحلة من أفضل مراحل جهاده، ولقد كنت مقيمًا فى مخيم «خان يونس» فى ذلك الوقت.

وفجأة بعد منتصف ليلة الجمعة الخامس عشر من يناير ١٩٨٨ أى بعد ٣٧ يومًا من اندلاع الانتفاضة إذا بقوات كبيرة جداً من جنود الاحتلال تحاصر البيت، بعض الجنود تسوروا جدران فناء البيت بينما عدد آخر منهم أخذوا يحطمون الباب الخارجى بعنف شديد محدثين أصواتًا فزع بسببها أطفالى الصغار وقد كانوا فى غرفة مجاورة لغرفتى، فنهضت على الفور من الفراش، وخرجت من غرفة

النوم لأتترس ببابها كى أمنع الجند من الدخول إلى الغرفة، ولما حاول ثلاثة من الجنود اقتحام الغرفة عنوة وحاولوا الاعتداء علىّ لإبعادى عن بابها دخلت معهم فى اشتباك بالأيدى جُرح على أثره أحد الجنود، وهنا ارتفع صوت الضابط وهو يأمرهم بالابتعاد عن الغرفة والإقلاع عن الاشتباك، ثم طلب منى ارتداء ملابسى ففعلت، وخرجت معهم فعصّبوا عينى وكبلوا يدى من الخلف بعنف شديد تورمت على أثره يداى، وفقدت الإحساس فى أجزاء من يدى لمدة زمنية طويلة، وكان ضابط الأمن الصهيونى المُلقب «بأبى رامى» وهو اسم أمنى حركى يعانى جنون العظمة، فبعد اعتقالى تناقل الناس فيما بينهم أننى ضربت «أبا رامى» ضربًا مبرحًا، فكان يتحرك فى الشارع برفقة جنوده المدججين بالسلاح ويقول للناس: انظروا إلىّ فأين آثار الضرب وأنتم تزعمون بأن الدكتور قد ضربنى؟ والواقع أنه كان بعيدًا عندما اشتبكت مع الجنود ولم يشارك فى العراك.

كرامات فى المعتقل

كنا فى المعتقل الصحراوى فى النقب وذلك عام ١٩٨٨، وكنا فى فصل الصيف حيث الحرارة الشديدة، وفى آخر ليلة من رمضان استيقظنا لتناول السحور فإذا بالحرارة لا تطاق، وشعرنا بأننا أمام يوم صعب، وانتظمنا فى صلاة الفجر، وصلى بنا إمامًا طالب من طلاب الجامعة الإسلامية، وقد حباه الله سبحانه صوتًا نديًا فى تلاوة القرآن، وبعد القيام من ركوع الركعة الثانية رفع إمامنا أكُف الضراعة باكيًا يدعو الله ونحن نؤمّن من خلفه، وألهمه الله فقال فى دعائه: اللهم سق إلينا الغمام، واسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، وألح فى الدعاء وكان الواحد منا يقول فى نفسه: ومن أين سيأتى الغمام فى يوم من أيام الصيف كهذا اليوم وفى مكان صحراوى كصحراء النقب؟ وتنفس الصباح، واشتعلت الأرض، إن دخلنا الخيام فكأنها حمامات شمسية، وإن خرجنا من الخيام شعرنا

كأن جهنم تحيط بنا من كل جانب، وما هى إلا لحظات بعد ارتفاع الشمس قليلاً فإذا بغيمة تتهادى من بعيد لتستقر فوق المعتقل مظللة جزءًا من خيام المعتقلين فلم نصدق عيوننا، ثم تبعتها أخرى، ثم جاء الغيم تباعًا حتى ظلل المعتقل كاملاً ومساحة حوله، فكنا نشاهد على الأرض حدود ظلال الغيوم من حولنا وبعدها تبدو أمام ناظرينا شمس تلفح سطح الأرض، ثم تساقط المطر وتساقطت معه دموع المعتقلين الذين اعتبروا ذلك آية ورحمة من الله سبحانه، وخرجنا على الفور من الخيام وأخذت أدعو ويؤمّن المعتقلون من خلفى، ثم تناوب الإخوة الدعاء والحمد والتسبيح تغمرنا فرحة استجابة الله لدعائنا فى صلاة الفجر.

ثلاثة أشهر فى زنزانة انفرادى

فى عام ١٩٩١ كنت فى معتقل النقب أقضى حكمًا إداريًا لمدة عام، وكان المعتقلون منذ افتتاح هذا المعتقل عام ١٩٨٨ حتى ذلك الوقت محرومين من زيارات ذويهم، ومع إلحاح المعتقلين واحتجاجاتهم المتكررة بدت هناك استعدادات لدى إدارة المعتقل بالسماح للأهل بالزيارة، وقام مدير عام المعتقل وهو صاحب رتبة عسكرية رفيعة ويدعى «شلتئيل» يطلب عقد لقاء مع ممثلى المعتقلين، ولقد اجتمع ممثلون عن مختلف الفصائل فى خيمة من خيام المعتقل فى أحد أقسامه لتدارس الأمر قبل انعقاد اللقاء مع الإدارة، وأحب المعتقلون أن أرافقهم وقد فعلت، وأثناء لقائنا فى الخيمة سمعت بعض الشباب يحذر من «شلتئيل» ويضخم من شأنه ويخشى من غضبه، فشعرت بأن له هيبة فى نفوس بعض الشباب وهذا لم يرُق لى ولكنى لم أعقب بشىء، ثم جاءت حافلة فى يوم اللقاء لتقلنا إلى ديوان «شلتئيل» وأخذت وأنا فى الحافلة أفكر فى استعلاء هذا الرجل وهيبته فى نفوس الشباب وكيفية انتزاع هذه الهيبة من نفوسهم، ولقد وطنت نفسى على فعل شىء ما ولكنى لا أعلمه، ولكن كان لدىّ استعداد

تام أن أتصدى له إذا تصرف بطريقة لا تليق، ووصلت الحافلة ودخلنا ديوانه فكان عن يميننا داخل القاعة منصة مرتفعة حوالى ٣٠ سنتيمتراً عن باقى الغرفة، وعليها عدد من الكراسى، وعن شمالنا كانت هناك عدة صفوف من الكراسى المعدة لنا، فجاء رؤساء الأقسام المختلفة وجميعهم من الحاصلين على رتب عسكرية فى الجيش، ومن بينهم مسئول أحد الأقسام قد كان فى الماضى نائب الحاكم العسكرى لمدينة «خان يونس» وكان يعرفنى مسبقًا، وكان نائب «شلتئيل» أيضًا يجلس على المنصة مع رؤساء الأقسام، وجلس المعتقلون الممثلون لكافة الفصائل على الكراسى المعدة لهم وجهًا لوجه مع رؤساء الأقسام تفصلنا عنهم مسافة لا تزيد على مترين، ولقد جلست فى الصف الأول فى الكرسى الأول الأقرب إلى باب الديوان، ثم بعد وقت قليل دخل «شلتئيل»، وكان رجلاً طويل القامة ضخم الجثة فالتفت بطريقة عسكرية إلى المنصة وأشار بيده يدعوهم إلى القيام له فقاموا، ثم التفت إلينا بطريقة عسكرية وأشار بيده فوقف الشباب وبقيت جالسًا، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأول بينى وبينه فلا يعرفنى، فاقترب منى وقال: لماذا لا تقف؟ فقلت له: أنا لا أقف إلا لله وأنت لست إلهًا ولكنك مجرد إنسان وأنا لا أقف للبشر، فقال: يجب عليك أن تقف فأقسمت بالله يمينًا مغلظًا ألا أقف، فأصبح فى حالة من الحرج الشديد ولم يدر ما يفعل، حاول التدخل أحد قادة فتح فى المعتقل وهو العقيد «سامى أبو سمهدانة» ليخبره أننى إذا قررت لا أتراجع، فرفض الاستماع إليه وأصر على موقفه، ولكنى أبيت بشدة، فقال نائبه: يا دكتور هنا يوجد بروتوكول يجب أن يحترم، فقلت له: دينى أولى بالاحترام ولا يجيز لى الإسلام أن أقف تعظيمًا لمخلوق، فقال: وما الحل؟ قلت: إما أن أبقى جالسًا أو أعود إلى خيمتى، فقال «شلتئيل»: عد إذن إلى خيمتك فخرجت من الديوان ولم يخرج معى إلا الأخ المهندس «إبراهيم رضوان» والأخ «عبد العزيز الخالدى»، وكلاهما من

حماس، وبعد أيام قلائل كان قد مضى على اعتقالى تسعة أشهر ولم يتبق إلا ثلاثة أشهر فقط للإفراج عنى، فإذا بهم يستدعوننى ويطلبون منى أن أجمع متاعى وهذا يعنى فى مفهوم المعتقلات ترحيل ولكن لا ندرى إلى أين، وكانت تنتظرنى حافلة، فما أن ارتقيتها حتى وجدت كلا الأخوين فيها وقد أحضرا من قسميهما فأدركت أنها عقوبة ولا توجد عقوبات سوى الزنازين، وانطلقت بنا الحافلة إلى «معتقل سبعة» حيث توجد خمسون زنزانة، وما أن وصلنا حتى تسلمنا مسئول الزنازين ويدعى «نير» الذى أخبرنا وهو ممتعض بأننا معاقبون بوضعنا فى زنازين انفرادية لمدة ثلاثة أشهر، وتبين لنا فيما بعد أن سبب امتعاضه اعتباره أن العقوبة كانت لأسباب شخصية، أى أنه لم يرُق له أن ينتقم «شلتئيل» لنفسه بهذه الطريقة خاصة أن أقصى عقوبة من العقوبات اليومية الروتينية لا تصل إلى سبعة أيام، ولذلك لم يكن سيئًا فى استقبالنا كما يفعل مع الشباب، وربما أن السن والدرجة العلمية لعبت دورًا فى التأثير عليه، وأخذنا إلى الزنازين المخصصة لنا كلٌ فى زنزانته وحيدًا، وكنا نخرج يوميًا لمدة ساعة ما عدا يوم السبت فى ساحة محاطة بالأسلاك الشائكة حيث الدورة والحمامات، لأن الزنازين لم تكن بها دورة مياه ولا حمام، وبدأنا رحلتنا مع القرآن أما أنا فأراجعه بعد أن منّ الله علىّ بإكمال حفظه من قبل عام ١٩٩٠ حيث كنت والشيخ أحمد ياسين فى زنزانة واحدة فى معتقل «كفاريونه»، وأما المهندس فبدأ بحفظ القرآن فى الزنزانة وكان رجلاً ذكيًا جدًا ويجيد العبرية بطلاقة، وقد تمكن من حفظ القرآن قبل انقضاء الثلاثة أشهر والحمد لله رب العالمين.

عندما يستجاب الدعاء

لقد أحاط الصهاينة المعتقل بخيامه وزنازينه بمكبرات صوت وُضعت على أعمده، من فوائدها سماع نشرة الأخبار وإن كان ذلك من مذياع العدو الصهيونى

الذى ينقل بعض الصورة أو ينقل الصورة مشوهة، إلا أننا كنا نتعرف على بعض ما يجرى خارج أسوار المعتقل فى الضفة الغربية وقطاع غزة خاصة أننا حُرمنا من زيارة الأهل، وأما من شرور مكبرات الصوت أنها معظم الوقت تنقل إلى مسامعنا أغانى صارخة مصطحبة بموسيقى صاخبة مما كان يؤذى مسامعنا إذا قمنا إلى الصلاة أو أخذنا فى مراجعة القرآن، خاصة أن الصوت كان يعبر من نوافذ الزنازين إلى داخلها فيحدث ضجيجًا هائلاً لا نستطيع معه النوم ولا التلاوة، فما كان منا إلا أن فزعنا إلى الدعاء كى يخلصنا الله من هذه المكبرات، وما هى إلا أيام قلائل وبينما كنت واقفًا مع المهندس «إبراهيم» فى الساحة خارج الزنزانة أثناء الساعة المقررة لنا، وكنا نصغى إلى نشرة الأخبار، فإذا بمدير هذا القسم من المعتقل يشاهدنا، فسأل «نير» ونحن نسمعه: ماذا يفعل الدكتور والمهندس؟ قال له «نير»: يستمعان إلى نشرة الأخبار، فغاظه ذلك وقال له: اقطع أسلاك مكبرات الصوت المقابلة للزنازين ظنًا منه أننا سنأسف لذلك وأنه سيؤلمنا، ففعل «نير» واستجاب الله دعاءنا، وأراحنا من الضجيج، مع العلم أننا كنا نتمكن من سماع الأخبار عن بعد من خلال مكبرات الصوت فى الأقسام المجاورة.

وذات يوم سمعنا صراخًا ينطلق من إحدى الزنازين، فنظرت من نافذة الزنزانة؛ لعلى أرى مصدر الصوت فإذا بأحد الحراس واسمه «عمير» يخرج من إحدى الزنازين ويقوم بتمثيل أمام «نير» كيفية ضرب الشاب فى الزنزانة، لقد كان مزهوًا وهو يمثل الدور مما أثار مدامعنا، لقد كان الشاب يصرخ ويستغيث ولا نستطيع أن نفعل له شيئًا، ثم قدر لنا أن نرى هذا المشهد الذى قام به «عمير» وهو لا يعلم أننا نراه، فانصرفت لأصلى ركعتين ودعوت الله أن ينتقم من «عمير» وفوجئت بعد ذلك مباشرة أن «عمير» قد تغيب لعدة أسابيع، وظننا أنه قد تم نقله، ولكنه جاء بعد ذلك وفى مشيته عرج، فسألته: هل

بساقك ألم؟ فقال: لا ولكن هناك شيئًا برأسي، وهذا يعنى ورمًا خبيثًا فى المخ، فحمدت الله على استجابة الدعاء، ولا غرابة فى ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب».

ومن يُهن الله فما له من مكرم

لقد مضت الثلاثة أشهر وجاءت الليلة الأخيرة فى المعتقل، وفى بعض الزنازين غير الملاصقة لزنازيننا كان عدد من العملاء الذين فروا من المعتقل وسلموا أنفسهم لإدارة المعتقل بعد أن انكشف حالهم للمعتقلين، وفوجئت فى آخر ليلة بمجيء «نير» إلى زنزانتى ليقول: يا دكتور أنت غدًا سيتم الإفراج عنك، ثم قال: لقد طلب منى «المفوكسين» -وهو مصطلح كان يطلقه المعتقلون على العملاء- أن يسلموا عليك فماذا تقول؟ ففكرت قليلا وجال بخاطرى أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وقلت: لعل موافقتى بالسلام عليهم توقظ ضمائرهم فيحدثوا توبة، فقلت له: موافق، فتغير وجهه وقال: يا دكتور هؤلاء «زبل» كيف تسلم عليهم؟ فقلت بعفوية: لعل الله يهديهم، فقال: تفضل وفتح باب الزنزانة حيث كان يتحدث إلىّ من كوة فى الباب، وخرجت لنسير حوالى أربعين مترًا هى المسافة بين زنزانتى وزنزانتهم وفجأة توقف «نير» فى منتصف الطريق وقال: يا دكتور هؤلاء «مفوكسون» هؤلاء «زبل» كيف تسلم عليهم؟ ولكنى عزمت فمضى حتى إذا وصلنا إلى زنزانتهم فتح كوة صغيرة فى أعلى الباب وطلب منهم أن يمدوا أيديهم للتسليم علىّ ففعلوا، ثم طلبوا منه أن يدخلنى عندهم وكانوا من النصيرات، وهنا لم يترك كلمة سيئة فى القاموس إلا قالها لهم رافضًا فتح الباب، ثم عدت إلى زنزانتى لأغادر المعتقل فى الصباح بعد أن أمضيت عامًا كاملاً بدون محاكمة فى اعتقال يطلق عليه اعتقال إدارى.

(٣)

فى معتقل غزة المركزى استيقظت ذات يوم وكان آخر يوم فى شهر رمضان على رؤية فأخذت أقصها على الإخوة فى غرفة رقم «٣» قسم «ب»، وقلت لهم: لقد رأيت أنى أركب حافلة متجهة صوب الشمال، وبينما أقص عليهم الرؤية إذا بصوت الميكروفون ينادى قائلاً: «عبد العزيز الرنتيسى عليه أن يلملم أمتعته وينزل إلى ساحة السجن» ففعلت، وإذا بهم يأخذوننى إلى سجن «الرملة» حيث يوجد قسم الانتظار والعبور من معتقل إلى آخر، ومدينة الرملة تقع بالنسبة إلى قطاع غزة فى اتجاه الشمال، وقسم المعبار هذا كان تحت الأرض وهو عبارة عن صف طويل من زنازين ضيقة تنتهى إلى غرفة جعلونى فيها، وفى صباح اليوم التالى صباح عيد الفطر وجدت نفسى فى الغرفة وحيدا، فأخذت بالتكبير للعيد ثم صليت العيد منفردًا، وانتابتنى مشاعر غريبة جدًا فهذه هى المرة الأولى التى أصلى فيها العيد وحدى، وقد كنت أسمع أصوات إخوانى فى الزنازين وهم يكبرون ولكن لا أراهم، ثم أخرجوهم ليصلوا العيد فى الفورة، وبقيت فى غرفتى المعزولة عنهم وحيدًا، وبعد يومين تم نقلى إلى سجن «كفاريونا» المطل على مفترق «بيت ليد» حيث زنزانة الشيخ أحمد ياسين، ولأن الشيخ لا يستطيع أن يحرك يدًا ولا قدمًا حيث يعانى شللاً رباعيًا فإنه دائمًا بحاجة إلى اثنين من المرافقين على أقل تقدير، وعندما ارتقيت سيارة نقل السجناء التقيت بالأخ الفاضل المهندس «نزار عوض الله» وقد أحضر من أحد المعتقلات ليكون شريكى فى خدمة الشيخ، وفى غرفة الاستقبال فى سجن «كفاريونا» التقينا بالأخوين الحبيبين «يحيى السنوار» و«روحى مشتهى»

اللذين أنهيا مرافقتهما للشيخ وسينقلان إلى سجن آخر، وبعد إتمام الإجراءات صعدنا إلى زنزانة الشيخ ومعنا شرطى، وصدمت عندما وصلت باب الزنزانة وذلك لأن الباب كان موصدا بالمزلاج وفوق ذلك عليه ثلاثة أقفال، فقلت للشرطى: الشيخ لا يستطيع الحركة فلماذا كل هذه الأقفال؟ فقال: إنها الأوامر، نعم إنها الأوامر البلهاء حقًا، ودخلنا على الشيخ وكان لقاء حارًا جدًا وممتعًا، وبدأنا رحلتنا مع الشيخ، وقد توليت إطعامه وحمامه وكل شيء من أمور حياته فهو لا يستطيع أن يساعد نفسه حتى فى حك جلده، وقد عكفنا فى هذه الفترة بالذات على إتمام حفظ القرآن وقد وفقنا الله لذلك والحمد لله.

كانت إدارة المعتقل تسمح لنا بالخروج إلى ساحة مغلقة فى كل يوم ساعتين تسمى «الفورة» فيتمدد فيها الشيخ مستندا بظهره إلى الجدار، بينما كنت وزميلى -الذى تم تغييره حيث أحضر الأخ «نصر صيام» بدلا من المهندس- نتمشى فى الفورة، وكانت هذه الفورة فى أوقات أخرى من اليوم تستخدم من قبل سجناء جنائيين من يهود وفلسطينيين، وكانوا لا يهتمون بالنظافة مما أدى إلى امتلاء الفورة بالبراغيث، فذات يوم اكتشفت أن حشرات تقفز على ملابسى فأخبرت صاحبى فوجدته يعانى نفس الشيء، وقد تبين لنا أنها براغيث، فذهبت إلى الشيخ أنظر حاله فلم نجد برغوثًا واحدًا على ثيابه، وشكونا الحال إلى إدارة المعتقل ولكن عبثًا، واستمر الوضع قرابة الأسبوعين عندما نصل إلى الفورة تقفز إلينا البراغيث بأعداد كبيرة، فقد كنت أقتل منها يوميًا قرابة العشرة براغيث، والعجيب أنها كانت على مدى الأسبوعين لا تقترب من الشيخ، فسألته مداعبًا: ترى ما السبب؟ فقال: إنها تبحث عن السمان، فضحكت وقلت له: بل صدها الله عنك لأنه يعلم أنك لا تستطيع حك جلدك، فضحك الشيخ وضحكنا.

استجابة الدعاء

ومن عجائب هذه الفترة التى امتدت أربعة أشهر ونصف الشهر أنه فى يوم الجمعة كنا نستقبل أهلنا فى زيارة عائلية، حيث يحضرهم الصليب الأحمر فى سيارة خاصة، وفى أحد أيام الجمعة تم استدعاؤنا لزيارة الأهل، وهناك فى مكان الزيارة فوجئت أن أهلى لم يحضروا بينما حضر أهل الشيخ وأهل الأخ «نصر»، فمضى وقت الزيارة وهو نصف ساعة بطيئًا جدًا، حيث إن أهل الشيخ وأهل زميلى كانوا يجاملوننى على حساب زيارتهم، وأخذت أذهب بعيدًا فى التفكير مسائلاً نفسى عن سبب تأخرهم وبدا علىّ أثر الهم، وعدنا من الزيارة إلى الفورة، فقال لى الشيخ: ما بالك مهمومًا؟ فقلت له: لا أدرى سببًا لتأخرهم، فهم لم يتأخروا يومًا من قبل، فقال: وهل هذا أمر يستحق الاهتمام؟ فقلت: ولِمَ لا؟ فقال: اعتبرهم ماتوا، فقلت له: أنا لا أستطيع ما تستطيعه، وتركته وانتحيت جانبًا فى إحدى زوايا الفورة بعيدًا عن الشيخ ورفعت الأكف ضارعًا إلى الله، وقلت: «اللهم إن كنت راضيًا عن خدمتى للشيخ فطمئنى على أهلى» فوالذى فطر السماء والأرض إذا بشرطى ينادينى ويداىّ مرفوعتان ليقول: تعال للزيارة فقد حضر أهلك، والذى زاد فى دهشتى أن هذا الشرطى لم أره من قبل فإذا به ونحن منطلقين إلى الزيارة يقول لى: «اهتم بالشيخ»، وكأن الله ألهمه أن يقول ذلك كى أعلم أن زيارة الأهل كانت استجابة للدعاء!!.

ومن الطرائف التى حدثت فى هذه الفترة أنه بينما كنا ننقل الشيخ ذات يوم إلى الفورة، قابلنا وجها لوجه على الدرج أحد السجناء الجنائيين اليهود، وكان يرافقه أحد عناصر الشرطة، فما كان من السجين إلا أن التقط يد الشيخ أحمد ياسين وقبلها، ثم قال لى: فعلت ذلك لإغاظة الشرطى والشرطى يسمع،

وهؤلاء السجناء رغم أنهم يهود إلا أنهم كانوا يحقدون على إدارة السجن، ولذا كانوا يتعاطفون معنا لأن عدونا وعدوهم واحد، وهو إدارة السجن.

وبعد حضورى إلى هذا المعتقل بيومين، صرخ علىّ أحد السجناء اليهود ويدعى «يعقوف» قائلاً باللغة الإنجليزية: عليك أن تأخذ حذرك، فلم يحضروك عند الشيخ إلا ليتنصتوا عليكم، فلا تتحدثوا فى أمور يمكن أن تؤدى إلى مخاطر، واعلموا أنهم ربما وضعوا لكم أجهزة فى الزنزانة أثناء وجودكم فى الفورة، فشكرته على ذلك.

ومن الطرائف التى حدثت فى هذه الفترة أن شرطيًا يهوديًا رآنى أحمل القرآن وأتصفحه، فسألنى: يا دكتور، ماذا فى كتابكم؟ فقلت: أمور كثيرة؛ قال: ماذا يقول إنكم فاعلون بنا؟ قلت له: يقول إننا سنذبحكم بعد أن تتجمعوا فى بلادنا، فقال: متى يكون ذلك؟ فقلت له: لا أدرى ربما يكون خلال أربعين سنة وكنا فى عام ١٩٩٠م. فأخذ يحسب ثم همهم قائلا: ليس مهمًا بالتأكيد سأكون ميتًا، فقلت له: وماذا تقول التوراة؟ فقال: نفس الشىء فتجمعنا هنا نهايته الذبح، ثم استدرك قائلاً: ولكن عندما نفسد، فقلت سبحان الله، كأنكم لم تفسدوا بعد.

ومن الطرائف أيضًا أن محامينا كان يزورنا باستمرار، وكان يجلس معنا على انفراد فى غرفة معدة لزيارة المحامين، فقال لنا ذات مرة: هل يسمحون لكم بشراء المشروبات الغازية كالكوكاكولا؟ فقلت له: لا، فقال: إذن سأحضر لكم فى الزيارة القادمة ثلاث علب من الكوكاكولا، وفعلا فى الزيارة التى تلت الوعد أحضر فى شنطته ثلاث علب من الكوكاكولا، ففتح الشنطة وقال: ها قد أحضرت، فقلت له: دعنا نشربها الآن، فقال: أخشى أن يراكم الشرطى، قلت إذن نأخذها معنا إلى الزنزانة، فقال: أخشى أن يتم تفتيشكم،

فقلت له : نخفيها فى عربة الشيخ فهم لا يفتشونها، فقال : أخشى أن يكتشفوا العلب الفارغة فى القمامة، فقلت : دعنا نستأذن من الشرطى، فقال : أخشى أن يضيقوا علىّ فى الزيارات القادمة، وفى النهاية تركنا ومعه الكوكاكولا، وكان هذا المحامى من أكثر المحامين خدمة للسجناء ولا أريد أن أذكر اسمه خشية ألا يروق له تدوين الحادثة فى المذكرات.

وبعد أربعة أشهر ونصف الشهر ودعت الشيخ وتم نقلى إلى سجن الرملة ومنه إلى سجن المجدل لأقضى هناك آخر أيام الاعتقال حيث كان الحكم سنتين ونصف، وكنت قد أمضيت المدة ولم يتبق إلا تسعة عشر يومًا قضيتها مع الحبيب الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة.

الإبعاد إلى لبنان

فى ليلة الرابع عشر من ديسمبر عام ١٩٩٢ وفى وقت متأخر من الليل أحاط جنود الاحتلال بالمنزل فى مدينة خان يونس، وطلبوا منى الخروج معهم، وخرجت وانطلقت بى سيارة عسكرية إلى مركز الإدارة فى مدينة خان يونس حيث مكاتب المخابرات، وقال لى الضابط : سننتظر قليلا ثم ننتقل إلى مدينة غزة، فقلت له بعفوية تامة وقد ألمّ بى الغيظ : سيندم «رابين» على هذا العمل الذى يقوم به، فلم يرد وانطلق بى إلى غرفة هى عبارة عن أحد المكاتب وقال : انتظر هنا حتى تأتى السيارة التى ستنقلك إلى مدينة غزة، وبعد فترة وجيزة فُتح الباب وخرجت فإذا بالدكتور «خليل أبو ليلة» يخرج من غرفة مجاورة، فسلمت عليه، ثم وضعوا الأصفاد فى معاصمنا والعصابة على أعيننا وانطلقوا بنا إلى غزة، ووصلنا إلى سجن غزة المركزى، ودخلنا المعتقل وانطلقوا بنا إلى غرفة رقم واحد من غرف «الترحيل» كما يطلق عليها المعتقلون، وهى غرفة تابعة لقسم التحقيق ومعدة لاستقبال الشباب الذين فرغوا من التحقيق

وأصبحوا جاهزين لترحيلهم إلى أقسام المعتقل فى غزة أو إلى معتقلات أخرى، ومن هنا بدت علينا الدهشة فقد كنا نعتقد أننا ذاهبون إلى التحقيق ومن يذهب إلى التحقيق فلا يجلس فى هذه الغرفة ولكن يصعد فوراً إلى قسم التحقيق، كما أننا لم نغير ملابسنا والعادة كما عهدناها أن من يدخل التحقيق أو المعتقل يخلع ملابسه فى مخزن الأمانات ليلبس ملابس السجن أو التحقيق ولكن هذا لم يحدث، ولقد وجدنا بعض الإخوة الكبار قد سبقونا إلى الغرفة، وأدهشهم حضورنا كما أدهشنا وجودهم، فأخذنا نفكر فى سبب وضعنا فى هذه الغرفة ولكن دون جدوى، وبعد ساعات قلائل فتحوا باب الغرفة وطلبوا منا الخروج وانطلقوا بنا خارج قسم التحقيق إلى ساحة المعتقل الداخلية حيث إن هناك غرفة انتظار يجلس فيها المعتقلون الذين يحضرون من سجون أخرى للمحاكمة فقد كانت المحكمة فى مدينة غزة، ووجدنا أنفسنا فى الغرفة: أحد عشر رجلا من بيننا أربعة من مؤسسى حركة حماس، فتوقعنا أن يكون الأمر عملية إبعاد، ولقد درج الحال الذى كان عليه المبعدون من قبل أن يقدموا استئنافًا إلى المحكمة العليا لدى العدو الصهيونى، وكان ذلك من شأنه أن يؤخر عادة عملية الإبعاد ولا يلغيها، حيث إن المحكمة الصهيونية العليا كانت مسيسة ومحكومة بقرار سلطات الاحتلال فكانت بالتالى تعتمد قرار الحكومة، ودورها فى مثل هذه الحالات لم يكن إلا شكليًا أو مسرحيًا، وهنا اقترحت على الإخوة ألا نقدم طلب استئناف، فقالوا: ولِمَ؟ فقلت: إن قضيتنا سياسية ولا يجب أن تتحول إلى قضية قانونية قضائية، ونحن ينبغى ألا نعترف بمحكمة صهيونية تابعة لدولة لا نقر بشرعيتها قامت على أرض المسلمين المغتصبة، كما أننا مجرد أن نقدم الاستئناف فكأننا أعلنا قبولنا بقرار الإبعاد غير الشرعى لأننا ارتضينا حكم هذه المحكمة الصهيونية لنا أو علينا، ونحن نعلم سلفًا أن قرار المحكمة لن يكون فى صالحنا، فوافق الإخوة على عدم تقديم استئناف.

ولكنهم على خلاف المرات السابقة لم يعطوا فرصة للاستئناف، فبعد يومين من مكوثنا فى غرفة الانتظار تم وضعنا فى باصات وقد كُبلت أيادينا من الخلف وعُصّبت أعيننا وانطلقت بنا الباصات ولكن لا ندرى إلى أين؟ وقد غلب علينا الظن أننا ذاهبون إلى معتقل النقب خاصة أنه لم تجر علينا الإجراءات التى عومل بها من أبعد قبلنا، فعدم اتباع الروتين السابق فى عملية الإبعاد ألغى احتمالية الإبعاد من أذهاننا، وانطلقت بنا الحافلات تسير أحيانًا وتتوقف أحيانًا أخرى ونحن على ما نحن عليه من قيد وتعمية، والوقت يسير ببطء شديد، ولقد نال منا الإرهاق وطول السفر والقيد الذى يكبل معاصمنا من الخلف منالا، فلا نستطيع الجلوس فى وضع مريح ولا نستطيع النوم، ولم نتناول طعامًا ولا شرابًا، ومُنعنا حتى من قضاء الحاجة، وكنا نصلى صلاة فاقد الطهورين فلا وضوء ولا نستطيع التيمم فأيدينا مكبلة من الخلف، وصلاتنا كانت إيماء فلا ركوع ولا سجود، وكانت إلى غير القبلة فكنا لا نعلم فى أى اتجاه تتجه بنا الحافلات، ومرت ست وثلاثون ساعة ونحن على هذا الحال، والباصات استمرت متوقفة عن أى حركة لمدة زادت على أربع وعشرين ساعة، وكل ذلك ونحن لا نعلم إلى أين هؤلاء الصهاينة ماضون بنا، وفى اللحظات الأخيرة وضعوا فى جيب كل منا مظروفا اكتشف بعضنا أن فيه خمسين دولارا، عندها أدركنا أنا مبعدون عن الوطن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

بوابة «زامريا»

وفجأة فتحوا باب الحافلة وبدأنا فى النزول واحدًا تلو الآخر وعند باب الحافلة يفكون قيدنا، وينزعون العصابة عن أعيننا، فلما نزلت فوجئت

بشاحنات تقف فى ساحة أمامى وهى مكتظة بأعداد كبيرة فذهلت لهذا المشهد لأننى لم أكن أتوقع وجود غيرنا أى غير الأحد عشر ومعظمهم من قادة الصف الأول الذين كانوا معى فى الحافلة، وبدأت أشعر بحجم المأساة وهولها، وأخذ الإخوة من الضفة والقطاع وهم فى الشاحنات يرفعون أصواتهم بالتكبير، وصعدت إلى الشاحنة وكان الوقت بعد منتصف الليل، وكان البرد شديداً لم نألفه من قبل، وكان الإرهاق والجوع قد نالا منا منالا، وكان عدد الشاحنات ست شاحنات، فى كل واحدة منها ما يزيد على سبعين مبعداً، والشاحنات مكشوفة والمطر يهطل علينا، وحاولت أن أمسك بصندوق الشاحنة لأثبت نفسى ولكننى شعرت كأن سكيناً شقت كفى من شدة برودة صندوق الشاحنة فنزعت يدى على الفور، ثم رجوت من حولى أن يعطونى فرصة للقرفصاء وقد فعلوا رغم شدة الزحام وما هى إلا ثوان قليلة حتى أخذتنى سنة من نوم، لقد كانت فترة وجيزة جداً ولكنها جددت حيويتى، وانطلقت بنا الشاحنات من معبر «زامريا» الذى يمثل نقطة على الحدود الشمالية للشريط الأمنى الذى كان يسيطر عليه العميل «أنطوان لحد».

***

(٤)

وبعد مسافة تصل إلى عشرة كيلومترات وصلنا إلى أول نقطة للجيش اللبنانى وتسمى «مرج الزهور» وهناك توقفت الشاحنات وسمعت جنديًا لبنانيًا يهدد قائلاً: من ينزل من الشاحنات سنطلق عليه النار، قائلاً: ممنوع عبور أحد حدود لبنان، فقلنا له: ونحن أيضًا لا نريد العبور إلى لبنان، وهنا بدأت الشاحنات تعود إلى معبر «زامريا» من جديد، وبدأنا ندرك أن هذه المسافة التى عبرناها ثم رجعناها ثانية هى منطقة عازلة لا سيادة لأحد عليها، وما أن وصلنا إلى المعبر حتى أخذ جنود الاحتلال -وكان معهم عناصر من اللحديين «الذين يتبعون العقيد اللبنانى المنشق أنطوان لحد»- بإنزالنا من الشاحنات وأخذوا يطلقون الرصاص من فوق رءوسنا فسرنا بعيدًا عن المعبر لا ندرى إلى أين، ولكن كنا نسير على طريق معبدة داخل المنطقة العازلة، وكنت فى المقدمة فإذا بأحد الشباب يصرخ: أين الدكتور «عبد العزيز»؟ فأجبته فقال: إن الشيوخ فى المؤخرة تداولوا الأمر فيما بينهم واختاروك وخمسة آخرين من إخوانك -أذكر منهم الشهيد «جمال منصور»- لتقودوا المسيرة حتى يستقر بنا الحال، فإذا بضابط لبنانى جاء فى سيارة مدنية وأخذ يصرخ على الشاب فاقتربت منه وقلت له: هون عليك فلن ندخل لبنان، فقال: إذن توقفوا هنا، وفعلاً طلبت من الإخوة أن يتوقفوا فى المكان إلى أن ينبلج الصباح، ولقد أحاط بنا بعض الصحافيين اللبنانيين الذين فهمنا منهم بعض الأمور حول المكان الذى نحن فيه، ولقد كان البرد شديدًا والمطر متواصلاً، والأرض موحلة تحت الأقدام.

خطبة الجمعة الأولى فى الإبعاد

وبزغ نور صباح اليوم الأول فى المنفى فى منطقة «مرج الزهور» وكان يوم الجمعة ١٨/ ١٢/ ١٩٩٢، ووجدنا أنفسنا فى مكان ممهد لقيام الخيام والسبب

فى ذلك أنه كان موقعًا للجيش، ولم يكن هناك مكان غيره فى المنطقة العازلة يصلح لإقامة مخيم، ووجدنا على بعد أمتار منا شلالاً يفضى إلى نهر ولكن مياهه لم تكن خالية من الشوائب والطين، وأيضًا لم يكن هناك على الطريق الذى يشق المنطقة العازلة بالقرب من النهر سوى هذا المكان، فتوضأ المبعدون وتهيأوا لصلاة الجمعة، واختارنى الإخوة لأن أكون أول خطيب فى رحلتنا هذه، واختلفنا فى كيفية الصلاة هل نصلى صلاة عادية أى هل نسجد كما نسجد فى صلاتنا أم نومئ برءوسنا دون أن نصل إلى الأرض وذلك بسبب السيول والأرض الموحلة، ولكنى ناشدتهم أن يسجدوا رغم الرخصة خشية أن تلتقط لنا الكاميرات صورًا يستغربها الناس الذين لا يعرفوننا بعد، ولا يعرفون أننا نصلى فوق الأوحال، وأهم ما ذكرت فى خطبة الجمعة شكرى للموقف اللبنانى الذى أغلق الباب فى وجه المبعدين وأثنيت على الحكومة اللبنانية ثناء عطرًا، وأعلنت أننا لن ندخل لبنان مبعدين، وأننا سنتجذر فى هذا المكان الموحش والموحل حتى نعود إلى فلسطين، وناشدت دولنا العربية أن تدعم موقفنا هذا وألا تخذلنا، وطالبت بوقف المفاوضات، وفضحت ممارسات الاحتلال.

الثبات على الموقف

واعتقد كثير من الصحفيين أن موقفنا المعلن هذا فقط من باب المزايدة والمبالغة الفارغة، وأننا بعد أيام قلائل سنتخذ موقفًا آخر، بينما كنا نقول لهم: الأيام وحدها ستبين لكم أننا شىء مختلف عما عهدتم، وأننا نمط آخر لا لشىء إلا لأننا نؤمن بأن الله معنا، وأن ما نقوم به من تحمل للمشاق هو جهاد فى سبيل الله، وأن معاناتنا لن تضيع سدى، كما نؤمن بأن الضمانة الوحيدة لعودتنا إلى الوطن هى ثباتنا فى هذا الموقع، وإلا فستكون النتيجة كارثة إبعاد

٤١٦ من بينهم أكثر من ٢٠٠ خطيب مسجد، ومن بينهم أساتذة جامعات، وأطباء، ومهندسون، وصيادلة، ومدرسون، وطلاب، ولو تمكن اليهود من إبعادهم فعندئذ ستلحق بهم مضطرة أسرهم ليصبح المبعدون بالآلاف، وسيبقى بعد ذلك باب الإبعاد مشرعًا يفرغ فلسطين من أصحابها الشرعيين، فلا غرابة إذن أن يقول أحد شيوخنا «الأستاذ عبد الفتاح دخان»: علينا أن يعض كل منا على صخرة فى مرج الزهور حتى يرجع إلى وطنه أو يدركه الموت وهو على ذلك.

ولقد بدأنا فورًا بتشكيل اللجان المختلفة وإعادة تشكيل القيادة لتمثل مختلف المناطق الجغرافية لجذور المبعدين، فكانت هناك لجنة إعلامية قامت بانتخابى كناطق إعلامى باسم المبعدين، وكانت لدينا لجنة ثقافية، وهندسية، وطبية، ودعوية، ولجنة للأرشيف، وتموينية، وتنظيمية إدارية، وأقمنا جامعة أطلق عليها جامعة ابن تيمية كانت تدرس الطلاب وتمتحنهم وتعتمد درجاتهم فى جامعاتهم داخل الوطن، وأقيمت عشرات الدورات للمبعدين، وأقمنا لجنة أمنية، وأخرى للحراسة، وكانت لدينا أيضًا لجنة فنية، وغير ذلك من اللجان، فانتظمت حياتنا واستقرت وقد أقمنا منذ اليوم الأول خيامًا، كما أقمنا مسجدًا، وكان أول من أغاثنا بالخيام الجماعة الإسلامية فى لبنان، وبعد ذلك قام الصليب الأحمر بإحضار أعداد كبيرة من الخيام، وتطور حالنا فيما بعد فأحضرت لنا إيران العديد من الوسائل التى قللت من المعاناة، فبالإضافة إلى بعض الخيام، أحضرت لنا مولدًا كهربائيًا أنرنا من خلاله الخيام والطرقات بين الخيام، وتمكنا بواسطته من مشاهدة التلفاز الذى أحضرته إيران، وكذلك زودتنا بسيارتين لنقل المواد التموينية، وساهمت فى الإمداد بما نحتاج إليه من مواد تموينية، وفتحت مستشفياتها فى لبنان لعلاج الحالات المرضية، كما

أحضرت هاتفًا لاسلكيًا ساعدنا فى الاتصال بذوينا فى الداخل، كما أن الفصائل الفلسطينية على اختلاف مشاربها ساهمت بدور مشكور فى مد يد العون لنا، وكذلك بعض الإخوة الأثرياء فى لبنان السيد «نزيه البقاعى» الذى زارنا كثيرًا وأحضر لنا كميات كبيرة من الفواكه والخضار، ولقد شعرنا بأننا بين إخواننا، وأهلنا، وكانت تزورنا وفود من كافة الفصائل الفلسطينية، وكذلك اللبنانية وعلى رأسها الجماعة الإسلامية (حزب الله)، ولقد زارنا العديد من الشخصيات من أمثال فضيلة مفتى لبنان، وكذلك فضيلة الأستاذ «فتحى يكن»، وكذلك فضيلة الشيخ «فيصل مولوى»، وكثيرًا ما زارنا الأستاذ «إبراهيم المصرى»، وكذلك الحاج «محمد سعيد صالح»، ومن أبرز من زارنا من الدول العربية كان فضيلة الدكتور «أحمد الملط» والدكتور «عصام العريان» والأستاذ «سيف الإسلام حسن البنا» ابن الإمام الشهيد رحمه الله، والشيخ «ياسين الإمام» نائب الأمين العام للجماعة الإسلامية فى السودان، والشيخ الدكتور «حسن الترابى»، كما زارنا وفد نقابة المهندسين من جمهورية مصر العربية، ووفد من الصحفيين الأردنيين، ولقد تردد على المخيم الإخوة أعضاء المكتب السياسى لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، كما زار المخيم الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامى الشهيد «فتحى الشقاقى»، وقد زارنا أيضًا وفد من الإخوان المسلمين فى الأردن، وهمَّ الأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتور «عصمت عبد المجيد» بزيارتنا إلا أنه لم يتمكن بسبب التدخل الأمريكى.

مختار مرج الزهور

عندما أقمنا فى هذا الموقع توجس الناس منا خيفة، ومعهم كل العذر فى ذلك فقد شاهدوا من الممارسات السيئة لبعض الفلسطينيين فى السابق ما رسم صورة سيئة للفلسطينى فى أذهانهم، ففى إحدى المسيرات التى قمنا بها باتجاه

قرية مرج الزهور حيث الحاجز اللبنانى، وكان هدف المسيرة الوصول إلى الحاجز لنسلم رسائل عدة موجهة إلى الرؤساء العرب، وما أن اقتربنا من القرية حتى استقبلنا مختارها السيد «أحمد عبد اللطيف» بطريقة سيئة، وكان رجلاً مسنًا وذا شوارب ضخمة، وكان لا يسمع، وقال لى أمام الصحفيين: عودوا من حيث أتيتم، لا يوجد لدينا خبز نقدمه لكم، وحاولت جهدى أن أشرح له الأمر وأننا لن ندخل القرية ولكن عبثًا، لقد كان ثائرًا وغاضبًا وفشلت فى الحديث معه، فما كان منى إلا أن أعطيت الرسائل له على وجه السرعة ورجوت الصحافة ألا ينقلوا هذه الصورة السلبية التى لا تعبر عن حقيقة الصورة اللبنانية الجميلة، ومضت الأيام وكنت ذات يوم أجلس فى الخيمة وإذا برجل يركب حمارًا وقد تقنع بلثام كرجال الطوارق وطرح السلام، ثم قال: أتعلم من أنا؟ فقلت: لا، فأماط اللثام وإذا به المختار وقد جاء معتذرًا وأحضر معه شيئًا من التين، وجلس معى وكان متهلل الوجه سعيدًا بنا وأكثر من الاعتذار وطلب المسامحة، ويوم عودتنا ذهبت إليه فى منزله مودعًا فبكى بكاء مرًا، وقال: لقد كنتم شرفاء، عالجتم مرضانا، (وقد كان أطباؤنا العشرة يستقبلون المرضى من القرى المجاورة ويعالجونهم ويعطونهم الدواء مجانًا)، وأضاف المختار: وساعدتمونا وحافظتم على عرضنا، وقد قام الشباب بقطف الزيتون فى ساعات قلائل وكذلك بحصد القمح وكنا نفعل ذلك لله ونشترط عليهم أن تعود النساء إلى البيوت حتى لا يختلطن بشباب المخيم، وعلمتمونا (وقد كان علماؤنا يذهبون إلى مسجد القرية ويعطون المواعظ فيه)، وحافظتم على حياتنا (وقد كان بعض الفلسطينيين فى السابق قد أزهقوا بعض الأرواح ظلمًا وعدوانا)، وأخذ يبكى ويقول: لن ننساكم، لقد غيرتم صورة الفلسطينى المشوهة التى كانت عالقة فى أذهاننا، وودعته وكلى حزن لفراقه، قرية «مرج

الزهور» تلك كانت هى القرية السنية الوحيدة بين القرى المحيطة بنا، ولكن علاقتنا بالناس امتدت لتصل إلى قرى شيعية وأخرى درزية.

مصالحة تاريخية

فى ضيعة صغيرة مجاورة لنا تسمى «المزرعة» كان يقيم رجل مسن يدعى «أبو على» وهى ضيعة شيعية، وكان لأبى على ابنة تزوجت من شاب يمنى يعمل ضابطًا فى الجبهة الشعبية القيادة العامة، ومنذ زواجهما الذى مضى عليه ثلاثة عشر عامًا لم يستقبل أبو على ابنته وزوجها، فلم يرها ولم ير زوجها ولم ير أبناءها وبناتها، وكان أبو على يرفض بشدة استقبالهم، ولقد علم أحد المبعدين، الأخ «حمزة كنفوش» بالقصة من الضابط اليمنى الذى تعرف عليه عن طريق بعض الزملاء الذين كانوا مع «كنفوش» فى المعتقل ثم تم تحريرهم فى تبادل جرى عام ١٩٨٥، وشكا الضابط له همّه وهمّ زوجته التى تتمنى رؤية والدها ووالدتها وإخوتها، ولقد تدخل من قبل عدد من كبار القيادات فى المقاومة الفلسطينية لدى أبو على ولكن دون جدوى.

وتعرف «كنفوش» على «أبو على» وأقام علاقة معه، وفاتحه فى الأمر فثار «أبو على» وأزبد وأرعد وأقسم أيمانًا مغلظة أنه لن يصالحهم أبد الدهر، فقال له «كنفوش»: سأخبر الدكتور «عبد العزيز» فى الأمر وسأجعله يتدخل لحل هذه الإشكالية، ورفض العجوز إلا أننى توجهت إلى بيته بعد أن أخبرنى «كنفوش» بالقصة، فوجدت أن أمها تتمنى رؤية ابنتها وأحفادها، وتحدثت مع العجوز «أبو على» إلا أنه تشنج وبشدة، فقلت له: سأحضر بعد أسبوع ومعى ابنتك وأنجالها وزوجها وما عليك إلا أن تمنعنا من دخول البيت.

وبعد أسبوع فعلاً توجهت أنا برفقة الضابط وزوجته وأولاده إلى بيت «أبو على» وأوصيت الضابط أن يستوعب ويصبر حتى ولو شتم فوعدنى خيرًا،

وكان شابًا طيبًا دمث الخلق، وكان معى أيضًا الأخ «كنفوش» وفوجئ أبو على بقدومنا، وقد استقبلنا عند البيت بعض رجال الضيعة وهم من أصهاره وأقربائه وذلك بتدبير من الأخ «كنفوش» فلم يستطع العجوز إلا أن يسمح لنا بالدخول، فقلت له: صافح ابنتك وزوجها وأحفادك وقبّلهم فهاج وماج وأزبد وأرعد وأخذ يشتم ابنته وزوجها وأبى أن يصافحهم، ورغم ذلك دخلنا فى غرفة الاستقبال وتعمدت أن أجلس بينه وبين صهره بينما ابنته كانت فى ضيافة أمها التى تهلل وجهها وفرحت فرحًا شديدًا بها وبأحفادها، وأخذنا نتحدث ولكن العجوز يرتعد وبين لحظة وأخرى يثور، واستمر الحال كذلك إلى أن أحضروا لنا العشاء، فرفضت تناول الطعام وهمست فى أذن رجال الضيعة أننى سأخرج غاضبًا وعليهم ألا يسمحوا لى بالخروج، وفعلاً نهضت فجأة وقلت له: أنا ذاهب إلى المخيم وأشكرك على حسن استقبالك وخرجت فخرج رجال الضيعة خلفى وأخذوا يقرعونه بالقول، ويسألونه: كيف تغضب الدكتور بهذه الطريقة؟ فرجانى أن أعود فأبيت، فقال لى: ماذا تريد؟ فقلت: أن تقبلهم فرفض وقال: ولكن أصافحهم فقط فوافقت، وفعلاً تمت المصافحة ولم يعد هو متوترًا، وعند تناولنا العشاء فوجئت أن هناك قطعًا من اللحم النيئ غير المطبوخ، وكذلك كبدة لم تمسها النار فأخبرونى عندما تساءلت أن قطع اللحم النيئ شهية مع الملح ولكنى لم أستطع تناولها، فأكلت مما هو مطبوخ، ولقد تبين لى فيما بعد أن اللبنانيين على اختلاف طوائفهم يأكلون اللحم غير مطهى دون أن تمسه النار.

وبعد العشاء هدأت النفوس فرجوته أن يقبّل صهره ففعل، ثم قبّل ابنته وأحفاده، وهنا أردت أن أخرج فقلت للضابط: أنت تستطيع أن تعود إلى عملك وتترك زوجك وأبناءك فى البيت مع والدها ووالدتها فلم يرفض

العجوز، ولكن ابنته فورًا همست إلىّ بأن يبقى زوجها معها خشية من أن يبطش بها والدها بعد انصراف زوجها، فقلت للضابط: هل أنت مجاز؟ قال: نعم، قلت: إذن فابق مع زوجك، فلم يعترض العجوز أيضًا ثم انصرفت.

وفى الصباح إذا بالعجوز وصهره يحضران إلى المخيم وهما فى منتهى السعادة، وقد ارتسمت على شفاههما ابتسامة عريضة، فسألتهما: كيف أمضيتما الليلة؟ فقال العجوز مبتهجًا: كنا نلعب «الورق» أى «الكوتشينة»، وقد بيّن لى العجوز أنها كانت أسعد ليلة فى حياته، ولقد كتبت الصحف عن المصالحة بإسهاب، حتى الصحف الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة تطرقت إلى القصة فى حينها.

المجتمع الأمريكى العجيب

أحد الصحفيين الذين زارونا فى المخيم كان شابًا هنديًا مسلمًا يحمل الجنسية الأمريكية واسمه «ياسر»، ولكنه كان صاحب فكر ومبدأ، وكان منتميًا لجماعة الإخوان المسلمين، وهذا بالطبع أحدث بيننا وبينه ألفة كبيرة، وقبل أن يحضر إلى لبنان كان يغطى أخبار البوسنة لصالح إذاعة أمريكية، ولما جاء إلينا أحضر معه مبلغًا من المال تجاوز المائة دولار بقليل إن لم تخنى الذاكرة، وقال لنا إن هذا المبلغ هدية مقدمة لكم من أطفال البوسنة، ولقد قمنا على إثرها باستنهاض الهمم لنجمع من المبعدين ما تجود به أنفسهم من أموال لصالح أطفال البوسنة، ولقد تمكنّا من جمع مبلغ بالآلاف إلا أنى لا أذكر قيمته الآن، وهذا المبلغ تبرع به المبعدون من مصروفهم الشهرى الذى كان يأتيهم من الحركة الإسلامية، وفى خيمتى جلس الصحفى المحبب إلى قلوبنا وعقد معى لقاء صحفيًا، ولقد أذهلنى عندما توجه إلىّ فى نهاية اللقاء متسائلاً: هل أنت نبى؟

فقلت: لا، فقال: هل يتنزل عليكم وحى من السماء؟ فقلت: لا، ثم أنهى اللقاء.

وتوجهت إليه متسائلاً بعد نهاية اللقاء: لماذا سألتنى هذه الأسئلة الغريبة؟ فقال: أنا أخاطب المجتمع الأمريكى، وهناك خواء روحى عجيب، وكثير منهم يعتقد أن ثباتكم بين الصخور والثلوج لا يمكن أن يكون إلا بوحى، ويعتقدون أنك نبى جديد، ولذا أردت أن أبيّن لهم الحقيقة، وقال لى: لو قلت إنك نبى لوجدت أعداداً كبيرة دخلوا فى هذا الدين الجديد.

لقد غادرنا هذا الصحفى المسلم بعد أن مكث معنا عدة أيام، ولقد علمنا بعد ذلك ونحن فى مرج الزهور أنه قد استشهد فى البوسنة، رحمه الله رحمة واسعة.

***

ملاحـق

- بيـانات وردود أفـعـال
- آخر مقال كتبه الشهيد
- مقتطفات من حواراته
- .. وحـوار مع زوجـتـه
- فى ذمة الله يا رنتيسى
- صـفـحـات صـور

بيان صادر عن جماعة الإخوان المسلمين
بشأن جريمة اغتيال الدكتور الرنتيسى

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فى مسلسل الاغتيالات الصهيونية المجرمة لرموز الجهاد والمقاومة فى وطننا المحتل فلسطين يأتى اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسى، قائد حركة المقاومة الإسلامية حماس فى غزة واثنين من مرافقيه ليضع الأمة كلها أمام مسئولياتها الإيمانية والتاريخية.. وإننا حين نفقد أخانا الكريم فى تلك المرحلة المهمة من مراحل مواجهة أمتنا للكيان الصهيونى - ومن يقف وراءه من قوى البغى العالمى - لنهنئه بالشهادة فى سبيل الله التى طالما سعى إليها، وتعرض لها، وحرص عليها ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وإن الإخوان المسلمين إذ يحتسبون عند الله تعالى أخاهم الدكتور عبد العزيز الرنتيسى وإخوانه الأبرار ومن سبقوهم بإحسان يعلنون أمام الأمة كلها ما يلى:

١- إن اغتيال الشهيد لن يفت فى عضد المجاهدين الذين جعلوا الله غايتهم، والموت فى سبيل الله أسمى أمانيهم، وإن دماء الشهيد لتستصرخ كل مسلم حر أن يموت على ما مات عليه الصادقون المرابطون.

٢- إن الكيان الصهيونى سوف يدفع ثمن جرائمه لا محالة، وإن قوافل المجاهدين الذين يتحرقون شوقًا للشهادة فى سبيل الله سوف يردون الرد المناسب الأليم إن شاء الله، والله معهم، ولن يترهم أعمالهم.

٣- إن الجرائم المتتابعة للصهاينة، وقتل الدكتور الرنتيسى ورفاقه - بعد أقل من شهر من اغتيال الشيخ أحمد ياسين - لتؤكد قناعتنا التى طالما أعلناها من أن دعاوى السلام وأمنياته التى يخدع بها القادة من حكام المسلمين ومن وافقهم أنفسهم لن تجلب لهم إلا مزيداً من العار أمام شعوبهم.

٤- إن الأمة كلها مطالبة اليوم - أكثر من أى وقت مضى - بالاستنفار للجهاد، وهذا قدرنا الذى لا محيص عنه، وإن المجاهدين فى فلسطين لا يدافعون عن وطنهم وحده، بل عن شرف الأمة ودينها، وإن ذلك العدو المتوحش إن شعر يوماً بالراحة فلن يقنع بما احتله من أرضنا..

٥- لقد اتضح أن المعركة هى معركة ضد الإسلام نفسه، وأعداؤنا لا يكتمون ذلك، فلا عذر لمسلم إن قعد عن الدفاع عن نفسه ووطنه ودينه..

٦- إن حادث الاغتيال الأثيم وإن تم بأيدى صهيونية فإن المجرم الأول فيها هو أمريكا وإدارتها العنصرية المتعجرفة التى لا تتوانى كل يوم عن ارتكاب الجرائم ضد وطننا وأمتنا.. ولقد أطلقت يد الصهاينة وكافأتهم على جرائمهم دوما، وآخر ذلك هو موافقتها على مقترحات شارون بإبقاء المستوطنات العنصرية ورفض حق اللاجئين فى العودة إلى ديارهم، وأن تكون القدس عاصمة أبدية (!!) للعدو الصهيونى..

يا أمتنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

الإخوان المسلمون

القاهرة فى: ٢٨ صفر ١٤٢٥ هـ - ١٨ أبريل ٢٠٠٤م

بيان صادر عن جماعة الإخوان المسلمين فى فلسطين

دماء الرنتيسى أمانة فى أعناق الأمة

يا جماهير أمتنا العربية والإسلامية:

تقف اليوم جماعة الإخوان المسلمين أمام فاجعة كبيرة أصابت الأمة العربية والإسلامية، بفقدانها علمًا من أعلام الجهاد والمقاومة، رجل المرحلة والمواقف الصعبة، أحد كبار قادة الإخوان المسلمين فى فلسطين، بل فى العالم أجمع إنه:

الشيخ المجاهد الربانى الدكتور/ عبد العزيز الرنتيسى

ومرافقيه البطلين:

الشهيد/ أكرم منسى نصار

الشهيد/ أحمد عبد الله الغرة

إن جماعة الإخوان المسلمين وهى تزف اليوم علمًا من أبر قادتها فى العالم تؤكد ما يلى:

أولاً: نهنئ أنفسنا وإخواننا فى حركة المقاومة الإسلامية حماس باستشهاد القائد الكبير الدكتور عبد العزيز الرنتيسى، ونسأل الله أن يخلفنا فى فقيدنا وقائدنا خيراً.

ثانيًا: نهيب بأمتنا العربية والإسلامية أن تقف مع المقاومة وتدعمها وتوفر لها كل الإمكانات، حتى يندحر الاحتلال عن فلسطين والعراق وكل وطننا العربى والإسلامى.

ثالثًا: ندعو جماهير أمتنا إلى الالتفاف حول خيار الجهاد والمقاومة ضد المحتلين الصهاينة والأمريكان وحلفائهم، وهو الخيار الذى ترفعه حماس فى فلسطين.

رابعًا: نعتبر الإدارة الأمريكية شريكًا أساسيًا مع العدو الصهيونى فى المجازر التى تجرى فى فلسطين، وليس آخرها جريمة اغتيال الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسى.

«وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون»

جماعة الإخوان المسلمين فى فلسطين

الأحد ٢٨ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ١٨/ ٤/ ٢٠٠٤م

***

• آخر مقال كتبه الشهيد - رحمه الله

هل يتحرك الشرفاء وقد مرّغت الفلوجة أنف التنين في طمي العراق؟

لقد تنبأنا في مقالات سابقة أن العراق سينتصر على الأشرار من الأمريكان، وربما تنبأ غيرنا بالشيء نفسه، ومثل هذه الرؤى لم تكن قطعًا وفق الحسابات المادية لموازين القوى، ولو جرت وفق هذه المعايير لما تنبأ أحد بانتصار العراق، ولكنها كانت وفق فهم واع للسنن الإلهية، وصدق الله الذي يقول: ﴿ **اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** ﴾ [فاطر: ٤٣]، ولكن الذي لم نتنبأ به هو ما يجري من إذلال لأمريكا فاق كل التصورات والحسابات رغم أنه أيضًا من سنن الله ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ** ﴾ [آل عمران: ٢٦]، مما أفقدها هيبتها، ويجعلها غير قادرة بإذن الله على الاستمرار كمصدر إرهاب وابتزاز لشعوب العالم، فالأمر إذن أكبر

الإدارة الأمريكية في العراق تقف اليوم عاجزة تمامًا، ومشلولة كاملا، وقد فشلت فشلاً ذريعًا في إدارة المعركة، فالبيت الأبيض نراه مضطربًا وهو يبحث عن سبيل للخروج من المستنقع، لأنه لم يعد أمام جنرالات الشر والإرهاب الأمريكان من حيلة إلا أن يخدعوا أنفسهم بالكذب الرخيص، علاجًا لما حل في نفوسهم من انهيار معنوي خطير، وأغرب ما في الأمر أنهم يكذبون بطريقة مفضوحة، وهذا يعني أن العقلية الأمريكية التي تفننت في قتل عشرات الآلاف

من الأطفال والنساء والشباب والشيوخ فى العراق عمدا مع سبق الإصرار باتت عاجزة تمامًا عن تمرير أكاذيبها على أقل تقدير، وفشلها فى إخفاء الحقيقة أفقدها مصداقيتها، فلم يعد أحد يصدق مزاعم أمريكا فيما تطرح من أهداف إنسانية من وراء احتلالها للعراق وهى التى تستخدم أمام العالم أحدث المقاتلات الحربية فى قصف البيوت فى الفلوجة، ولم يعد أحد يصدق أمريكا فى ما تعلنه من أرقام كاذبة عن عدد قتلاها وجرحاها، وقد فضحتها اللقطات الإعلامية الذكية، فعلى أفضل تقدير لا تعكس الأرقام المعلنة رسميًا.

وأسوأ ما ألم بأمريكا من وضع مخز أنها لا تدرى ما تفعل، فهى لا تستطيع المكوث فى العراق، فالجنود الأمريكان قد انهاروا تمامًا، فمنهم من يعيش اليوم على العقاقير المهدئة للأعصاب حتى ينسى، ومنهم من يرى فى الانتحار الحل الأمثل، وهى لا تستطيع مغادرة العراق، فالمغادرة دون تحقيق الأهداف تعنى نهاية أمريكا على أقل تقدير كقوة عظمى، وفى ظل اللاحل تغرق أمريكا يومًا بعد يوم فيزداد وضعها سوءا وتعقيدًا، فهل هناك من هو أبأس اليوم من الشيطان الأمريكى؟، ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، ألم تر كيف هزمت على أبواب الفلوجة الأبية؟

ومما لا شك فيه أن هذا الإذلال له آثاره الهامة لصالح المسلمين لو استثمر:

فالصهاينة اليهود هم أول المتضررين من هذا الإذلال، وذلك لأسباب عدة منها، أنهم هم من وراء توريط أمريكا فى العراق مما سيودى لو بعد حين إلى يقظة أمريكية تكتشف معها أمريكا أن احتضانها للكيان الصهيونى إنما هو احتضان للأفعى، وهذا أمر له ما بعده، ولقد بدأ الأمريكان يشعرون بخطر الصهاينة اليهود على مستقبل دولتهم.

كما أن خروج الحليف الأكبر للعصابات الصهيونية مهزومًا ذليلا من العراق سيضعف قدرة أمريكا على مواصلة دعمها للإرهاب الصهيونى، مما قد يؤدى ولو بعد حين إلى وقوف تلك العصابات وجهًا لوجه مع أمة عريقة عظيمة ذات حضارة.

كما أن هزيمة أمريكا وإذلالها فى العراق سيحطم الحلم الصهيونى فى نفوس الصهاينة وقد ظن اليهود أن حلمهم فى تحقيق «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات قد حان أجله باحتلال أمريكا للعراق.

كما أن آمال الصهاينة قد تبخرت فى استثمار الدماء الأمريكية وتحويلها إلى أموال تصب فى خزانتهم، وفى استثمار الوجود الأمريكى لبسط نفوذهم على الأمة العربية والإسلامية، واستثمار السيف الأمريكى لتجنيد المذعورين فى عالمنا العربى والإسلامى لضرب الحركة الإسلامية خاصة فى فلسطين، وكل ذلك اليوم ينهار مع انهيار أمريكا.

ومن المتضررين أيضًا أولئك الذين لم يتركوا فرصة إلا وذكرونا فيها أن أمريكا قوية وأننا ينْبغى علينا أن نتفهم الواقع، وأن ننحنى للعاصفة، فأمريكا فى قراءتهم للواقع لا تقهر، وغير ذلك من التعابير المهزومة، وهؤلاء فى واقع الحال اتخذوا أمريكا ربا من دون الله، واليوم أراهم قد شدهوا وهم يرون ربهم يذل فى العراق على أيدى المجاهدين الأبرار، وهولاء بالطبع لم تعد لهم قدرة بعد اليوم على نشر الإحباط واليأس فى نفوس المسلمين، فلن ترى فيهم أمريكا بعد اليوم إلا مجرد طفيليات ضارة، فلن يكون لهم دور أمريكى، هذا إن بقيت أمريكا أمريكا.

ومن المتضررين أيضًا تلك الدول التى تحالفت مع أمريكا فى حربها على الإسلام، فاستجابت للإغراءات الأمريكية فغاصت معها فى طمى الفرات،

وهؤلاء منهم من بدأ يشعر بالخطر مثل بريطانيا وأسبانيا واليابان وإيطاليا، مما جعل شعوبها تلعن القادة، ومنهم من يترقب فهو يؤمن أن الخطر سيدركه عاجلاً أم آجلاً.

ومن المتضررين أيضًا القادة الذين باعوا أنفسهم وكرامة أمتهم ومصالحها للشيطان الأمريكى، فأصبحوا فى عداء مع شعوبهم مما جعل بقاءهم مرهون بالحماية الأمريكية، وهم اليوم يخشون أن تضعف أمريكا عن تقديم الحماية لهم.

كل ذلك يشكل فرصة عظيمة للشرفاء من أبناء هذه الأمة، المؤتمنين على ماضيها وحاضرها ومستقبلها ليتحركوا، لا يخافون فى الله لومة لائم، كى يفرضوا واقعًا جديدًا ينقذ الأمة من حالة الانكسار التى تعيشها اليوم، فقد آن للشرفاء أن يبذلوا كل جهد مستطاع ليحطموا قيود الواقعية المهزومة، لقد آن لهم أن يعملوا مخلصين كى تتبوأ أمتهم العريقة المكانة التى تليق بها بين الأمم، آن لهم أن يحققوا لأطفال هذه الأمة ونسائها وشبابها وشيوخها الأمن والاستقرار، وأن يبنوا لهم مستقبلاً أفضل يليق بأمة الإسلام، وأن ينفضوا عن كواهلهم غبار الذل والعار والهزيمة، وأن يعيدوا لهم ما سلب من كرامة.

فهل سيتحرك الشرفاء؟ أسأل الله ذلك.

***

مقتطفات من حواراته

عُرف الدكتور عبد العزيز الرنتيسى كأحد قادة حركة حماس - فى داخل فلسطين وفى خارجها - فصار بالتالى أحد المتحدثين باسمها، وقد أجرى معه العديد من الحوارات واللقاءات الصحفية والإعلامية، وكان دائمًا يضع النقاط فوق الحروف، موضحًا استراتيجيات الحركة ومنطلقاتها ومستهدفاتها.

فى السطور التالية بعض ردوده على الأسئلة التى وجهت إليه، وفيها تبدو سياسة حماس وتوجهاتها ومبادئها الإسلامية الرصينة:

• كنت أحد مؤسسى حركة المقاومة الإسلامية حماس الذين اتخذوا قرارا بتشكيلها فى الرابع عشر من ديسمبر ١٩٨٧ وفى الذكرى السادسة عشرة لانطلاقها كيف تقيم هذه الأعوام التى مرت بحلوها ومرها؟

•• أستطيع أن أقول بأن حماس خلال الستة عشر عامًا قفزت عدة قفزات نوعية نحو التقدم والصعود على كل المستويات، فحماس عندما بدأت أو أعلن عنها عام ٨٧ كانت عبارة عن حركة محلية، وربما كانت مقصورة فى بدايتها على قطاع غزة، والآن هى حركة عالمية، تأثيرها لا يقتصر على المستوى المحلى ولكن لها تأثيرا على المستوى الإقليمى والدولى، حماس بدأت محلية حتى فى جماهيرها ولكن الآن ازداد عدد وأنصار حماس الذين يباركون ويدعمون هذه الحركة بوسائل مختلفة، وباتوا ينتشرون فى كل الكرة الأرضية وليس داخل فلسطين أو غزة، وحماس تطورت بشكل نوعى على مستوى الأداء النضالى والعسكرى، فعندما بدأت كان سلاحها الحجر، ثم استعملت الرصاص والعمليات الاستشهادية المزلزلة لهذا الكيان والتى أفقدته الأمل فى استكمال المشروع الصهيونى على حساب فلسطين والأمة العربية وحتى أفقدته الأمل فى البقاء أو استمرار البقاء.

• **هل نفهم من كلامك أن حماس تحولت من جناح عسكرى مقاوم إلى حركة سياسية لها مكتب سياسى ومكتب إعلامى ولجان دعوية وخيرية وفنية، بمعنى أن أهدافها تغيرت؟**

•• لا، حماس هى جناح انتفاضى جهادى لأن حركة الإخوان المسلمين حركة تنظيمية مؤطر أعضاؤها، فيما حماس حركة جماهيرية تمثل الجماهير وفيها أعضاء منتسبون ليسوا فى الإخوان المسلمين، بمعنى هى الذراع الفاعل فى مواجهة الاحتلال.

• **وما طبيعة علاقتكم الآن بجماعة الإخوان؟**

•• قيادة حماس هى الجسم الفاعل فى الحركة، وبالتالى نحن نمثل الإخوان فى فلسطين.

• **تعتبر حماس آخر تنظيم فلسطينى مقاوم تشكل فى الساحة الفلسطينية، فكيف استطعتم خلال هذه الفترة القصيرة التحول إلى قوة مركزية تعتبر الثانية وتنافس على المركز الأول الآن على الساحة الفلسطينية؟**

•• أهم عوامل نجاحنا هو أننا حركة إسلامية عقائدية انسجمت مع طبيعة هذا الشعب المسلم، وما تدعو إليه حماس هو ما يؤمن به شعبنا، ونحن حركة متجذرة ضاربة فى أعماق التاريخ، فحركة حماس امتداد لجماعة الإخوان المسلمين ولها جذور قوية، بالإضافة إلى أن عقيدتنا الجهادية ميزان صدق لنا مع الجماهير، ونحن منسجمون تمامًا بين ما نقول وما نفعل، فأصبح لحركتنا مصداقية عالية مما جعل ثقة الناس بنا تزداد.

• **ما التأثيرات التى أضافتها حماس للحركات المقاومة، فهناك حركة فتح التى لها جذور إسلامية، بالإضافة إلى تنظيمات إسلامية أخرى؟**

•• حركة فتح لا تنكر أنها حركة علمانية، وكان اعتمادها فى الانتشار على

العمل العسكرى فقط، وعندما تحولت إلى العمل السياسى فقدت البوصلة العقائدية الدينية بإقامتها على ميثاق علمانى، عندئذ بدأت تتراجع لمصلحة حركة الإخوان، ونحن نأخذ الإسلام بشموليته، سياسة وفكرة ودعوة وعبادة، وهناك بعض الحركات الإسلامية التى أخذت أجزاءً من الإسلام وتركت أخرى، وهناك حركات إسلامية لا تؤيد الفكر الجهادى، وهناك حركات إسلامية تركت العمل الجهادى والسياسى، وهناك من ترك الجانب الدعوى، أما نحن فنحاول أخذ الإسلام ككل.

● **لماذا لم تشارك حماس حتى الآن فى منظمة التحرير أسوة بباقى الفصائل الأخرى؟**

●● لأن منظمة التحرير لا تريد لحماس أن تشارك، هى تريد لحماس أن تدخل تحت العباءة، وتريد أن تصادر البرنامج السياسى لحماس لمصلحة برنامج منظمة التحرير، لو أن منظمة التحرير قبلت بدخول حماس بثقلها فى الشارع، ولو تم بناء سليم على النظم الديمقراطية لشاركنا، ولكن لا يمكن أن تقبل منظمة التحرير بهذا الأمر، لأنه سيكون على حساب البرنامج السياسى لمنظمة التحرير والسلطة، ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوا إلا فى ظل هذا البرنامج الخاطئ.

● **بعد ١٦ عامًا حدثت تطورات كثيرة، كيف تتعاطى حماس معها وفق برنامجها الذى تضمنه الميثاق؟**

●● يجب أن لا يغيب عن بالنا أن هناك إطارًا لا يمكن أن نتجاوزه لبرنامجنا السياسى، وهو الإسلام، فحماس منسجمة دائمًا مع الإطار الإسلامى الذى لا يسمح بالتنازل عن حق الشعب الفلسطينى فى أرضه وإقامة دولته على ترابه المقدس وعودة المقدسات والحق فى مقاومة الاحتلال، وهذه حقوق شرعية.

• **كيف يتم اتخاذ القرار فى حماس؟**

•• نحن حركة إسلامية، نأخذ أى قرار بالشورى، وهى ملزمة، والأغلبية هى التى يكون لها غلبة الرأى، ومن هنا نحن نتشاور فيما بيننا ونناقش أى قضية فى الضفة والقطاع والخارج ونرى أين الرأى الغالب . . فيتبناه الجميع .

• **حماس تلقت ضربات عديدة منذ تأسيسها وحتى الآن، فكيف تخرج منها؟**

•• حماس تلقت ضربات عديدة وقوية على كل الصُعد، منها الاغتيالات وضرب البنى التحتية والإبعاد والاعتقال، ورغم ذلك كانت تخرج من كل ضربة أقوى من سابقتها، لا لشىء إلا لأنها تعبر عن ضمير الشارع، وعندما تكون فى مواجهة مع العدو يزداد التفاف الجماهير حولها، وكلما ازدادوا فى ضربنا ازداد التفاف الجماهير حولنا .

• **حماس فقدت الشيخ صلاح شحادة والدكتور إبراهيم المقادمة والمهندس إسماعيل أبو شنب وجمال منصور، هل ما حققته الانتفاضة يعوض هذه الخسارة لحماس؟**

•• فى الثوْرات والمواجهات التى تقوم بين حركة إسلامية كحماس وعدو صهيونى، لا يمكن أن نحسب الشهداء على قائمة الخسارة، فنحن أمام مشروع كبير وأهداف كبيرة للتحرر الوطنى، على رأسها تحرير الوطن واستقلال الشعب الفلسطينى، ولا يمكن أن نقول إن استشهاد بعض القيادات يمثل خسارة كبيرة أمام الأهداف الكبيرة التى نسعى لتحقيقها، فالأهداف الكبيرة تحتاج لتضحيات كبيرة .

• **هل تعتقد أن هذا الجيل من حماس يمكن أن يرى تحقيقًا لأهدافه؟**

•• الواقع أننى على ثقة أن هذا الجيل سيصل بإذن الله إلى تحقيق أهدافه، والواقع المر الذى يعطى بعض التأجيل للوصول إلى الأهداف: ما تقوم به

السلطة الفلسطينية؛ بقطع الطريق على المقاومة كلما ضيقت على الاحتلال وجعلته فى مأزق، ربما لديها شعور خاطئ وإحساس غير سليم وغير صحيح أننا نسعى لتقويض السلطة والاستيلاء على منجزاتها وأن نكون بديلا لها، ونحن طمأناهم أننا لن نفعل ذلك، وعندما يكون الاحتلال فى مأزق تقوم بتقديم مبادرات سخية جدًا لتحرجنا، ومع ذلك أقول إن هذا الجيل سيصل إلى أهدافه ويتحقق النصر وإننى متأكد أن العدو الصهيونى لا يستطيع أن يصمد فى مواجهة هذا الشعب.

• لماذا لا نرى برنامجًا عسكريًا وسياسيًا موحدًا للانتفاضة بين فصائل المقاومة والسلطة؟

•• من المؤسف جدًا أن فصائل المقاومة المختلفة لها أهداف مختلفة، وما يعتبره بعض الفصائل حلاً مرحليًا تعتبره فصائل أخرى حلاً نهائيًا، وما يعتبره بعض الفصائل هدفًا استراتيجيًا تعتبره فصائل أخرى هدفًا تكتيكيًا، وطالما أن هناك تباينًا فى الأهداف والوسائل بهذه الصورة، فمن الصعب على الفصائل الوطنية والإسلامية أن تجتمع على برنامج عسكرى وسياسى موحد، فهناك من يرى أن التنازل عن فلسطين أمر ممكن، وهناك من يعتبر ذلك مخالفًا للشرع الإسلامى.

• لماذا لا تقوم الحركة بطرح برنامج سياسى متوازن يحافظ على ثوابت الحركة ويضمن مرونة تنسجم مع قوة التغيرات الدولية؟

•• نحن شعب يرزح تحت الاحتلال، ومن هنا تصبح معركتنا الوحيدة هى دحر الاحتلال، هذا هو البرنامج، وهذا يقوم فقط على المقاومة، فنحن لا نقبل بأقل من حقوقنا كاملة، نحن لا نعيش فى فراغ، ولذلك ندرك أن هناك متغيرات دولية، ولكن ندرك أيضًا أن لنا حقوقًا وطنية مشروعة نجاهد من أجل تحقيقها وندفع فى سبيل ذلك أرواحنا.

والمتغيرات الدولية لا يمكن أن تجعلنا نتنازل عن حقوقنا التى بالتنازل عنها نكون فى واقع الأمر قد تنازلنا عن كرامتنا، والمرونة الوحيدة التى تنسجم مع المتغيرات الدولية هى تنازل الشعب الفلسطينى عن كامل حقوقه الوطنية المشروعة، وأى مرونة لا تصل إلى هذا الحد ستكون مرفوضة من قبل قوى الشر فى العالم. ألم تر كم كان عرفات مرنًا وقد تنازل عن ٧٨٪ من فلسطين قبل أن يحقق أى إنجاز للشعب الفلسطينى؟! ثم جعل من الضفة الغربية وقطاع غزة أرضًا متنازعًا عليها، وأخيرًا أصبح متهمًا بأنه عقبة فى وجه السلام، وهو الحاصل على جائزة نوبل للسلام، فنحن لا نقبل بما قدم عرفات من تنازلات لم تقنع أعداء الله، فأى مرونة تلك التى يمكن أن تبديها حماس فتقنع قوى الشر فى العالم؟! أعتقد أن الشىء الوحيد الذى يجب أن يقتنعوا به أننا لن نتنازل عن شبر من أرضنا وسنواصل مقاومتنا للاحتلال.

• **إلى أين تسير الانتفاضة فى ظل المتغيرات الدولية؟**

•• الانتفاضة حالة شعبية، وهى حق نضالى مشروع للشعب الفلسطينى، ولا أعتقد أنها تتأثر كثيرًا بالمتغيرات الدولية، ولذلك فالانتفاضة مرشحة للاستمرار، بل والتصعيد فى المستقبل، فنحن فى فلسطين نواجه الظلم الذى وقع على شعبنا من قبل العدو الصهيونى، وندرك أن هذه المواجهة ستكلفنا الكثير. فإذا تكرس الظلم واشتد ساعده فلا يعنى ذلك أننا سنوقف مقاومتنا وانتفاضتنا ونتخلى عن وطننا ومقدساتنا، فلسان حالنا يقول: ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾ [التوبة: ٥٢].

• **وكيف ترون مستقبل حركة حماس فى ظل الحملة الأمريكية الإسرائيلية الأوروبية ضدها؟**

•• حركة حماس حركة جماهيرية مجاهدة، والحملة الأمريكية الصهيونية الأوروبية ضدها تزيدها قوة وتزيد من التفاف الجماهير حولها، لأن الجماهير فضلاً عن ثقتها السابقة بها ستزداد ثقة وإيمانًا بأن حماس تمثل أمل الشعب الفلسطينى فى التحرر ومواجهة الظلم الواقع عليه والتصدى لأعدائه، وحماس لا تملك أرصدة فى أوروبا ولا فى أمريكا، ومن هنا فلن يستطيع أعداء الله وأعداء الإسلام من النيل منها أو الإضرار بها، خاصة أن رصيدها الكبير هو الجماهير العربية والإسلامية التى تقدم كل أشكال الدعم لها.

• **هل أنتم مستعدون لوقف إطلاق النار، وما هو الثمن الذى تريدونه ولا يمكنكم القبول بأى حال من الأحوال الموافقة على وقف إطلاق النار بدونه؟**

•• الكل يعلم أننا أوقفنا إطلاق النار لمدة زادت على ٥٠ يومًا ولكن العدو الصهيونى لم يلتزم بذلك وواصل قتل أبناء الشعب الفلسطينى، وواصل عمليات اجتياح المدن وتدمير البنى التحتية للشعب الفلسطينى، وواصل تدنيس المقدسات الإسلامية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، ولم يفرج عن المعتقلين الفلسطينيين الذين أمضوا عشرات السنين فى معتقلاته، بل وتبجح معتبرًا أن الهدنة هزيمة للشعب الفلسطينى كما أعلن ذلك رئيس أركان الإرهاب الصهيونى «يعلون»، مع أننا قلنا فى حينه إننا أعطينا الهدنة حفاظًا على أمرين: **الأمر الأول**: الوحدة الوطنية، **والأمر الثانى**: خيار المقاومة، وقد أثبتت الأيام أننا كنا على صواب، اليوم نعيش عدوانًا شاملاً إرهابيًا على شعبنا الفلسطينى، مما يجعل مجرد النطق بكلمة الهدنة هزيمة حقيقية للشعب الفلسطينى وانتصارًا كبيرًا لقادة الإرهاب فى العالم من أمثال المجرم شارون والإرهابى موفاز.

• **هل لكم أن تحدثونا عن استراتيجية حماس المستقبلية فى ظل تعاظم قوتها فى الشارع الفلسطينى؟**

•• استراتيجية حماس المعتمدة لديها ترتكز على مرتكزات محددة، **أولاها:** أن لنا وطنا مغتصبًا بكامله وأننا لا نستطيع التنازل عن شبر منه، **وثانيها:** أن هناك اختلالا واضحًا فى موازين القوى لصالح العدو الصهيونى، فلا نملك من الترسانة العسكرية ما يملك، **ثالثها:** أننا نملك عقيدة تتولد عنها إرادة لا تعرف التقهقر أمام العدو أو التراجع دون بلوغ الأهداف، عقيدة فى ظلها تهون التضحية بكل شىء إلا بالعقيدة والوطن، **ورابعها:** أن هناك أمة عربية وإسلامية تعيش حالة من الضعف والوهن والانكسار لا تستطيع معها نصرة شعب فلسطين، وأن هناك مجتمعًا دوليًا معاديًا لأمانى وطموحات الشعب الفلسطينى وداعمًا للإرهاب الصهيونى، فى ظل هذه المعطيات وكونها معطيات ثابتة فإن لحركة حماس استراتيجية ثابتة، تتمثل فى السير فى خطين متوازيين: الخط الأول مقاومة الاحتلال والتصدى للعدوان الصهيونى، والخط الثانى الحفاظ على وحدة الشارع الفلسطينى، وحماية الصف الفلسطينى من خطر الاقتتال الداخلى الذى من شأنه أن يصرف الجميع عن مقاومة الاحتلال، ولذا فإن المقاومة هى الخيار وهى الاستراتيجية حتى تحقيق الأهداف المنشودة.

• **كيف تنظر حركة حماس إلى المزاعم الصهيونية بإخلاء المغتصبات فى قطاع غزة، وهل تعتقدون أن شارون يبدى نية صادقة بفعل ضربات المقاومة؟**

•• انطلاقة ما يسمى بمسيرة التسوية كانت غزة - أريحا أولاً، وقيل يومها إن الحقائق تقول إن الموقف الصهيونى الحقيقى هو غزة - أريحا أولاً وأخيرًا، فالعدو الصهيونى لم يكن يفكر فى المكوث فى غزة، ولكنه كان دائمًا يسعى إلى تحقيق مكاسب مقابل خروجه من غزة، فلما طال به الأمد وأصبح المكوث

فى غزة له تكلفة عالية جداً سواء أمنيًا أو اقتصاديًا أو معنويًا، أصبح التفكير جديًا فى الخروج من جحيم غزة، ولكن شارون يريد أن يستثمر هذا الخروج لتحقيق مكاسب فى الضفة الغربية، سواء على صعيد تمدد الاستيطان هناك، أو على صعيد كسب مزيد من التأييد للجدار الذى يلتهم حوالى ٦٠٪ من أراضى الضفة الغربية، هو يريد أن يحقق هذه المكاسب فى ظل اتفاقية مع الجانب الفلسطينى، فإذا فشل فى ذلك فسيسعى إلى تحقيقها عن طريق الدعم والتأييد الغربى الصليبى، على أية حال أهون الشرين أن تكون عن طريق الدعم الصليبى الذى لا يضفى ولو شرعية وهمية على تلك المكاسب بينما هذه الشرعية الوهمية الزائفة يمكن أن تتحقق فى ظل أى اتفاق سياسى مع السلطة الفلسطينية.

• الكثير من المراقبين يتهمون حماس بأنها تسعى لقيادة الشعب الفلسطينى كبديل للسلطة الفلسطينية، ما هو تفسيركم؟

•• الواقع يقول إن السلطة جاءت بديلاً لانتفاضة الشعب الفلسطينى؛ بهدف وضع حد للانتفاضة، ولقد قالت حماس ولازالت تقول إننا فى مرحلة تحرر وطنى، وأن الوقت لا زال مبكرًا لقيام سلطة فلسطينية، لأن قيام السلطة فى ظل الاحتلال هو أحد أهداف الاحتلال، كما نرى ذلك فى أفغانستان والشيشان والعراق، وأكبر خطأ وقعت فيه منظمة التحرير الفلسطينية أنها قبلت بإقامة سلطة فى ظل الاحتلال، وكما نشاهد ونسمع اليوم فإن هناك العديد من الأصوات من داخل السلطة تطالب بحل السلطة معتبرة أن السلطة فى ظل الاحتلال هى مصلحة للاحتلال، كما أن استطلاعات الرأى تشير إلى أن ثلثى الشعب الفلسطينى يطالبون اليوم بحل السلطة، وكل ذلك يضفى مصداقية على قراءة حماس السياسية للواقع الفلسطينى والإقليمى والدولى، والذين

يتهمون حماس بأنها تسعى لقيادة الشعب الفلسطينى كبديل للسلطة الفلسطينية لا يقدمون دليلاً واحداً على مزاعمهم تلك، فتأتى تلك المزاعم فى إطار (الحذلقة) السياسية التى تهدف إلى التأثير على التأييد الجماهيرى الواسع لحركة المقاومة الإسلامية حماس فى الشارع الفلسطينى، ولكن هذه (الحذلقات) أوهى من أن تحقق هذا الهدف.

• **بماذا تفسرون النزاعات التى تحدث فى داخل السلطة الفلسطينية وقادة أجهزتها كما حدث مؤخراً بين دحلان والجبالى وما هو دور حماس فى وجود حالة من عدم الاستقرار نتيجة النزاعات السلطوية؟**

•• التفسير الوحيد للنزاعات القائمة هو أن الهدف عند العديد من القيادات البارزة فى السلطة، هو الموقع فى السلم القيادى، فكلٌ يريد أن تكون السلطة التنفيذية بيده وحده، وما من شك أن هذه النزاعات لها آثارها السلبية على كل شىء وعلى كل فصيل، ومن هنا فإن حماس لا تألو جهداً إلا وتبذله من أجل رأب الصدع حتى يستمر الاستقرار فى الساحة الفلسطينية لأن عدم الاستقرار لا يخدم إلا الاحتلال.

• **أنتم متهمون بأنكم تخليتم عن استراتيجية حماس بخصوص الحدود، ورضيتم بإقامة دولة على حدود ٦٧ والاعتراف (بإسرائيل) إن صح التعبير، كيف تردون هذه المزاعم؟**

•• لقد قمنا على الفور بتكذيب الخبر الملفق الذى نشرته وكالة أنباء رويتر وبينا الحقيقة أمام الناس، ومن أراد التعرف على المواقف الثابتة لحركة المقاومة الإسلامية حماس فعليه الرجوع إلى ميثاقها، وهذا ما قلته لمراسلة رويتر، إلا أنها تعمدت تحريف أقوالى، ونحن نعتبر الاعتراف بدولة الغصب والعدوان والكيان الصهيونى أمراً غير شرعى، وهذا الأمر هو أهم عناصر الخلاف بيننا

وبين السلطة الفلسطينية، ففى الشرع الإسلامى لا يجوز التنازل عن الوطن أو حتى عن أى شبر منه.

• فى حالة رضوخ السلطة للمطالب الأمريكية والصهيونية بملاحقة أفراد حركة حماس وجنود كتائب القسام، ما هو موقف الحركة من ذلك؟

•• أنا لا أعتقد بعد التجربة المريرة والخطأ القاتل الذى وقعت فيه السلطة عام ٩٦ أن لها مصلحة فى العودة إلى هذه التجربة العقيمة الخطيرة، هذا من جانب، ومن جانب آخر أعتقد أننا اليوم فى وضع يختلف تمامًا عما كنا عليه عام ٩٦، فقد كفر الشعب الفلسطينى اليوم بما يسمى بمسيرة التسوية السياسية، وأصبح الخيار الوحيد أمام الشعب الفلسطينى هو خيار المقاومة، كما أن المشروع السياسى الذى تبنته السلطة أثبتت الأيام أنه مشروع فاشل ومدمر، ولا أكاد أرى من خيار أمام السلطة إلا أن تنحاز إلى الشعب الفلسطينى فى خندق المقاومة، لأن العدو الصهيونى لا يملك فى جعبته أى مشروع سياسى يمكن أن يحقق للسلطة بعض أهدافها.

• من وجهة نظركم، هل تعتقدون أن بناء جدار الفصل العنصرى سيمنع الاستشهاديين من تنفيذ العمليات الاستشهادية فى الداخل؟

•• أعتقد أن المقاومة الفلسطينية التى أثبتت قدرة فائقة فى اختيار الأهداف والوسائل لضرب هذه الأهداف قادرة على أن تتخطى هذه العقبة، وستثبت الأيام أن العدو الصهيونى سيعض أصابعه ندمًا على ما أنفق من أموال فى بناء هذا الجدار، أو فى بناء المغتصبات، أو الأموال التى أنفقها فى بناء كيانه الزائل بإذن الله، وسيعلم هذا العدو الجبان أنه واهم فى إمكانية الهروب من ضربات المقاومة التى بالتأكيد ستنجح فى تنفيذ عمليات استشهادية داخل فلسطين المحتلة رغم أنف الجدار.

• **ما هو حجم التنسيق وطبيعة العلاقة بين القيادة السياسية لحركة حماس والجناح العسكرى كتائب القسام؟**

•• الواقع أن القيادة السياسية لحركة حماس هى التى ترسم السياسة العامة للحركة، وأما الجناح العسكرى كتائب عز الدين القسام فهو جناح مستقل يعمل بحرية تامة بعيداً عن أى تنسيق مع القيادة السياسية، ولكن وفق السياسة العامة التى ترسمها القيادة السياسية، فعندما تحرم القيادة السياسية على سبيل المثال الاقتتال الداخلى، وبالتالى تحرم إطلاق الرصاص على صدور أبناء الشعب الفلسطينى نجد أن الجناح العسكرى يلتزم بهذا الموقف للقيادة السياسية التزامًا حديديًا ولا يخرج عن إطاره.

• **وفى حالة اتخاذ قرارات مصيرية فى حركة حماس من هم الذين يتخذون القرار، هل تقتصر القرارات على قادة الداخل أو الخارج؟**

•• الذى يتخذ القرارات المصيرية فى حركة المقاومة الإسلامية حماس هى القيادة السياسية لهذه الحركة، ممثلة بأجنحتها المختلفة فى قطاع غزة والضفة الغربية والمعتقلات والسجون والخارج، والقرار يكون قراراً شوريًا، والشورى لدينا ملزمة.

• **ماهى استراتيجية حماس المستقبلية للتعامل مع قضية الأسرى والمعتقلين فى سجون الاحتلال الصهيونى والتى تتدهور يومًا بعد يوم؟**

•• العمل من أجل الإفراج عن الأسرى والمعتقلين هو واجب دينى قبل أن يكون واجبًا أخلاقيًا ووطنيًا، ولذلك فقد اعتقلت حماس فى السابق العديد من جنود الاحتلال بهدف القيام بعملية تبادل نتمكن من خلالها تحرير أسرانا البواسل من قبضة الأسر، فقد قامت الحركة بأكثر من اثنتى عشرة عملية كان

من أشهرها اختطاف «آفى سيسبارتوس»، و«إيلان سعدون»، و«نسيم توليدانو»، و«نخشون فاكسمان»، و«شارون إدرى» ومنها أيضًا اختطاف «آلون كرفاتى»، و«يارون تشين»، و «يهود روك» و«إيلان ليفى»، و«يوهوشوا فريد برغ»، وغيرهم، ولا زالت الحركة تضع على سلم أولوياتها قضية الأسرى، ونحن ندرك أن السبيل الوحيد للإفراج عن هؤلاء الأسرى أن تقوم الحركة باعتقال جنود الاحتلال، ولا توجد خيارات أخرى، ومن هنا فإن استراتيچية الحركة فى المستقبل هى نفس استراتيچيتها الحالية وهى نفس استراتيچيتها فى الماضى، ونحن على ثقة بأننا سننجح فى الإفراج عنهم بإذن الله تعالى.

• لماذا لا تتخذ حماس أساليب جديدة فى مقاومة الاحتلال كعمليات الاختطاف فى خارج فلسطين والمفاوضة عليهم ومبادلتهم بالأسرى والمعتقلين؟

•• سياسة حركة حماس تقوم على قاعدة عدم توسيع دائرة الصراع، واختطاف جنود العدو خارج فلسطين من شأنه أن يدخل الحركة فى دوائر صراع جديدة مع الدول التى سيجرى الاختطاف على أرضها، ولذلك كانت ولا زالت وستبقى سياسة حماس قائمة على قاعدة حصر المعركة مع العدو الصهيونى داخل حدود فلسطين، لأن توسيع دائرة الصراع ليس من مصلحة حركة حماس، ولا من مصلحة الشعب الفلسطينى، ولا من مصلحة القضية الفلسطينية.

***

.. حوار مع زوجته

أجرت الزميلة الصحفية أسماء أنور شحاتة حواراً مع زوجة الشهيد، نشرته جريدة (آفاق عربية) جاء فيه :

• **كيف كان بداية تعارفك بالشهيد؟**

•• كنت فتاة قد أنهت لتوها الثانوية العامة فى ذلك الوقت ولم تكن لى علاقة بالحركة الإسلامية ولكنى كنت مستقيمة، أى لم أكن أرنو إلى العلاقات العاطفية كالأخريات، وكنت أطمح بشدة إلى أن أكمل تعليمى الجامعى إلا أن والدى رفض لأن معنى أن أكمل تعليمى أن أسافر إلى مصر . . حينما تقدم لى أبو محمد وجدت فيه الصفات التى تتمناها أى فتاة ولا سيما عمله كطبيب . . وأشهد له أنه لم يسئ لى يومًا بكلمة أو تصرف يجرحنى، مع حرصه الدائم على صدق وتميز علاقته مع الجميع .

• **ماذا عن المحن التى تعرض لها الشهيد؟**

•• كان لدىّ استعداد نفسى لمسألة اعتقاله سواء فى الانتفاضة الأولى أو الثانية، وحتما كان هذا الأمر صعبًا علىّ فى بدايته ولكن ما جعلنى متماسكة وقوية هو ثقتى بأن الله قدر له ذلك وأنه تكفل بنا فى وجوده أو عدمه، أما مع محاولة اغتياله العام الماضى فقد كنت فى تلك الساعة أجلس على مكتبى فى دائرة العمل النسائى وكل ما فعلته أن وقفت وبعدها استأذنت للرجوع إلى البيت لأننى أيقنت أنه من الصعب الوصول إلى مستشفى الشفاء فى ظل الاحتشاد الشعبى المتواجد، ويجب أن نعلم جميعًا أن الطريق الذى سار فيه أبو محمد طوال حياته الجهادية أى ما يزيد على ثلاثين عامًا يبتغى مرضاة الله

سبحانه وتعالى هو الصحيح والوحيد الذى يوصل للسعادة الحقيقية التى ما بعدها سعادة، وهو طريق ليس مفروشًا بالورود فهو صعب ملىء بالمعوقات والتضحيات، ولكن الأمل الذى نسير إليه والهدف المنشود يسهل ما يجده الإنسان من عنت، وهذه سنة الله فى الدعوات منذ أيام سيدنا آدم وحتى يومنا هذا.

• **كيف كان الدكتور الرنتيسى فى تربيته لأبنائه؟**

•• لم يكن الدكتور الرنتيسى فى قمة انهماكه فى مشاغله متوترًا وحين يكون البيت مكتظًا بالصحفيين فإنه لو حدث ودخل أى غرفة ليأخذ شيئًا ما ورأى أحفاده أو حماته أو إحدى بناته فسرعان ما يبتسم ويسألهم عن أحوالهم فقد كان لاهتمامه بالأمور الصغيرة لمن حوله دور فى شخصيتى وذلك بأن أنتبه للأشخاص المحيطين، كما أوضحت أنه كان دومًا حريصًا على صلة الأرحام حتى لو كان باتصال هاتفى، إضافة إلى أنه كان يحب الأطفال ولا سيما أحفاده الذين يبلغ عددهم ١٤ حفيدًا. ويشبه أحمد «٢١ سنة» الذى أصيب معه فى عملية الاغتيال أباه قلبًا وقالبًا. وآمل أن يسير على درب أبيه، وحين كان يتاح له وقت كان يلعب مع مرافقيه التنس فى البيت ويحرص على مشاركة الشباب معه ليشعرهم بالتواضع والثقة بالنفس.

• **كيف كان استقباله لخبر استشهاد الشيخ ياسين؟**

•• لقد تأثر الدكتور الرنتيسى بشدة لاستشهاد قائده وأخيه وظهر هذا جليًا عليه أيام العزاء وحينما رأيته ذات يوم فى ذاك المهرجان الذى أقيم لتأبين الشيخ ياسين بكى حينما ذكر الشيخ ثم كان متقلا لتحمله تلك الأمانة إلا أن هذا لم يكن يثنيه عن الإكمال والسير فى هذا الدرب هو وإخوانه.

• **ماذا كانت وصية الدكتور الرنتيسى لكم قبل ذهابه؟**

•• فى حياته الجهادية طوال الثلاثين عامًا كان مجاهدًا فى سبيل الله متمثلا فى نهج الله سبحانه وتعالى فى كل أمور حياته من معاملات، أخلاق، جهاد، عبادات، اجتماعيات، سياسة، علاقات، فهذه أكبر وصية وإنا على دربه لسائرون إن شاء الله.

• **كيف استقبلتى خبر استشهاد الدكتور عبد العزيز الرنتيسى؟**

•• شعور أى زوجة فقدت زوجها ولكنى لم أفقد صوابى ولم أفقد إيمانى ولا ثقتى فى الله، فهذا فضل من الله سبحانه وتعالى، فبعد خروجه من البيت بدقائق سمعت صوت الانفجار، فأيقنت أن المستهدف هو زوجى، وحتى أتأكد من الخبر أسرعت إلى إذاعة صوت الأقصى فكان وقتها أذان العشاء وبعدها أذيع خبر استهداف سيارة الرنتيسى واستشهاد أحد مرافقيه. أما الدكتور فكان فى العناية المركزة فأصبح لسانى يردد: الحمد لله ثم توضأت وقمت لصلاة العشاء ودعوت الله أن يثبتنى ويثبت أولادى وهو الذى وعد عباده إذا دعوا بالإجابة.

• **هل كان الدكتور يشعر بقرب موعده مع الشهادة؟**

•• لم يخبرنا يومًا بذلك.. وإن كان استعداده لها فى كل ثانية وكل دقيقة وكل ساعة وكل يوم من حياته وما ذلك إلا أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وعلى رأس الأعمال التى كان يقوم بها تقوى الله والإخلاص واستثمار الوقت.. كان يطبق الإسلام بشموليته ويعطى كل ذى حق حقه.

• **لكل الشهداء كرامات.. فماذا كانت كرامة الدكتور الرنتيسى؟**

•• الدم الذى استمر يسيل حتى بعد عشرين ساعة من استشهاده، ورائحة المسك التى فاحت من أنحاء جسده، والثبات والقوة التى كنا بها بعد استشهاده أنا وأبنائى، وأخيرًا الابتسامة التى علت ثغره.. أنا أعتبر أن تلك هى كرامات الدكتور الرنتيسى.

• **كيف كان الدكتور عبد العزيز الرنتيسى أبًا.. وزوجًا.. وجدًا.. ومجاهدًا؟**

•• كان الدكتور شخصية إسلامية متكاملة.. تتمثل فيه الآية التى تقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فكان تأسيه بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وعلاقاته الاجتماعية والأسرية والجهادية.. كل هذا كان يعتبره عبادة: فى بره لأمه، فى معاملته الحسنى لزوجته، فى معاملته الحسنة لأخواته وإكرامه لبناته ومداعبته لأحفاده وشدته على الكفار وأعدائه.. فى تواضعه مع كل من يتعامل معه.

• **موقف لا تنساه أبدًا أم محمد مع الدكتور الرنتيسى؟**

•• كل حياة الدكتور الرنتيسى مواقف لا تُنسى ولكن هناك موقفًا لا أنساه أبدًا.. أهديه لكل الأزواج فقد كنت أنظف البيت ووقع منى جهاز التلفاز على شاشته وتعطل تمامًا فاستئت كثيرًا لذلك وخاصة بعد خروجه من المعتقل والوضع المادى صعب لا يسمح بشراء جهاز آخر ولكنه حينما حضر وسألنى عن سبب استيائى قال: للأشياء آجال.. قدّر الله وما شاء فعل وقالها وهو مبتسم..

• **ماذا عن آخر لحظات الدكتور معكم؟.. وماذا كانت آخر كلمات الشهيد؟ وكيف كانت نفسيته يوم الاستشهاد؟**

•• آخر حياته لم تختلف كثيرًا عن حياته معنا: كان دائمًا يعطى لكل ذى حق حقه رغم كل مشاغله.. وكنا نتحدث فى كل أمورنا العائلية فقد كان فى

زيارة قصيرة لنا وكان الموضوع الرئيسى الذى تحدثنا فيه هو زواج ابنى أحمد الذى أصيب مع أبيه فى المرة الماضية وذلك من اختيار العروس إلى تجهيز السكن ونحوه. . كان سعيداً جداً وكانت روحه المعنوية مرتفعة كعادته. . وكانت آخر كلماته معنا. . أن تدخلنى ربى الجنة هذا أقصى ما أتمنى.

• **ماذا كانت أمنيات الدكتور الرنتيسى؟**

•• كانت أمنيته أن يلقى الله شهيداً وليس أكثر من ذلك. .

• **كيف كانت حياة الشهيد فى الفترة التى تلت استشهاد الشيخ أحمد ياسين؟**

•• ما أظن أن حياته تغيرت فهو يعرف أنه مستهدف قبل استشهاد الشيخ، وهذا نهاية الطريق الذى سار فيه وهو طريق الاستشهاد والجهاد.

• **ماذا تقولين لنساء فلسطين اللاتى ينتظرن دورهن فى استشهاد الزوج والأب والابن؟**

•• دور المرأة لا يبدأ الآن فقط، إنما يبدأ مع دور الرجل فالرسول الكريم يقول: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته.. والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**». . ولقد قدمت المرأة المسلمة أمثلة رائعة فى كل المجالات، فدورك بعد استشهاد زوجك أو ابنك هو استكمال لدورك فى حياتهم. . ثبتك الله ورعاك ووفقك وسدد خطاكى وجمعك مع من تحبين فى مستقر رحمته.

• **كلمة توجهينها للحكام العرب والشعب الفلسطينى والشعوب العربية؟**

•• ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨١]. . أما الشعوب فأقول لها: ارجعوا إلى مصدر عزتكم وكرامتكم. . عودوا إلى إسلامكم وخذوا كتاب الله لكم منهجاً. .

فى ذمة الله يا رنتيسى

د. جابر قميحة

بنفـــوسٍ مـــبـــرورة ونفـــيس
كلُّنا فى فـــداكَ يا «رنتـــيـــسى»
طبتَ حـيًـا ومـيِّـتًـا وحـبـيـبًـا
يا شـهـيـدًا مـثْـواه كلُّ النفـوس
قـد رفـعتَ اللواءَ من بعـد ياسـيـ
ـنَ بعـــزم حـــمـــاهُ منْ تنْكيس
وكـــأنى «بمؤتة» قـــد تَبـــدَّتْ
وكـأنى «بجـعـفـرٍ» فى الوطيس
إن تكُنْ قـــد رحلتَ بالموت عنا
فلمَـرْقَى كـمـثل مـرقَى الشّـمـوس
قـد وصلتَ ياسـيـنَ فى جنة الخلْـ
ـد، فـأضـحى ياسـينُ خـيـرَ أنيسِ
فى نعـيمٍ بحـور عـين عـذارَى
ورضـــاء من ربنا الـقـــدّوس
لـكـم المجـــدُ والخلـود، ولـلأنْـ
ـكاسِ خـزْىٌ وشـر عـيشٍ بَئـيس

***

فـــغـــايتكم هى اللهُ

وعـــــشـــــتمْ فى عطاياه
وكـــان دعـــاؤكم دوْمـــا :
أيـــــا ربـــــاهُ . . ربـــــاهُ
وقـــــدوتكم رســـــول اللـ
ـه . يـا أعْظِمْ بتـــــقـــــواه
ودســـــتـــــور هو القـــــرآ
ن بـالأنـوار جـــــــــلاه
وجـــــالدْتم وجـــــاهدتم
جـــــهـــــادًا بـارك اللـهُ
ليـــبـــقى القـــدس لا يَعْنو
بصـــخـــرته وأقـــصـــاه
ولســـــــتم أنتم الرامى
بـــل الـــرامـــى هـــو الـــلـــهُ

***

ويح قلبى فى ظلِّ حكمٍ خـــسـيسِ
من بُـغـــــاةٍ، ومن بنى إبليسِ
من زعـــيم مـــهـــمَّشٍ مـــزعـــومِ
وزعـــيم مـــهـــرج مـــهُـــووس
وزعـــيم طَغَى وأفـــســـد، ينوى
يورث الحكمَ لابنِه «المحـــــروس»

لا ترى منه غـــيـــر كـــذْب وزور
وخـــداع منمَّق . . ونـحُـــوس
وعـــروش بالتْ عليـــهـــا الأعـــادى
مـــا عليـــهـــا ســوى غـبىٍّ مَـســوسِ
همْ أســودٌ على الشـــعـــوب ضـــوَارِ
ونعـــامٌ مع العـــدو الخـــســـيس
قـد غَـدوْا فى الشعـوب أضـحـوكـةً شـا
عتْ، ورمـــزَ التـــخلف المنكوس
وأبوهمْ فى عـــرشـــه المتـــعـــالى
فى «أمـرْكـا»، مـــا غـيـرُه من رئيس
وبعـــقل مـــشـــوَّش ملحـــوسِ
وبقلب مـــبـــدَّد مطـمـــوسِ
يدّعى العـــدْلَ والحـــيـــادَ ويمـــضى
فى ركـــاب اليـــهـــود بالتـــدليس
وَوَشنْطُنْ قـد أصـبحت كـعـبـة القـصـــ
ـــاد منكم، وبوشُ كـــالقـــديس
واســـتـــقـــر الولاء للأمْـــركـــان
بعـــد أن كـــان فـــتـــرة للروس
لا تسلْهم عن عِـــزة وكـــيـــان
فى المخـازى مســتـغـرقٍ مـغـمـوس

***

وعـــشنا تحت أمـــرتهمْ
كـــمنْ فى القـيـــد رجـــلاه
يســـود حـــيـــاتنا قـــهـــرٌ
وإذلالٌ وإكـــــــــــراهُ
وأوجـــــــــــاع وآلامُ
وآهٌ.. تـــلْـــوهـــا آهُ
ومن يتَـصـــدَّ مـعـتـرضًـا
فـــإن القـــبـــرَ مـــثـــواه
فـــهـمُّ الحـــاكم الكرسىّ
والسـلـطـان والجـــــــاهُ
بـلا عـــــــقـل ولا خُـلـق
فـــحب المال أعـــمـــاهُ
ألا قـــد خـــابَ من يحـيـــا
لشـــهـــوته ودنيـــاهُ

***

يا كـبـارَ المقـامِ ضـعـتم مـقـامًـا
إذ هوَيْتم إلى الهـوانِ الخـسـيسِ
أين «أُسْلو»، وأين «مـدريد»، والشـرْ
مُ، وباقى خـيـابةِ المتـعـوس؟
اعـتـززتم بهـا، وكـانتْ سـرابًا
منكرين «ياسـين» و«الرنتـيـسى»

قـد أمنتمْ لعـهـدهم - من غـبـاء -
كـيف ترعى الذّئابُ أمْن التـيـوس؟!
وعـجـزتمْ عن قـمـة تجـمعُ الشـمْـ
ـلَ كـيـانا فى الحـاضـرِ الموكـوس
واخـتلفـتم من قـبلُ خُلفـا مَـهـينا
وتشـاتمتمْ فى اجـتـمـاع عـبـوس
خـبّـرونى : مـا تفـعلون إذا مـا
قـد جُـررتم إلى القـتـالِ الضـروس؟

***

قـتـال طائلٍ عـات
سـعـيـرُ الحـقـد لظّاهُ
يسـوق الموتَ فى نَـهَـمٍ
يـمـزقُ من تحـداه
ويزحف حـيـثـمـا يبـغى
وكلكمـو ضـحـاياهُ . .
وينشئ دولة كـبـرى
تحـقـق مـا تمناهُ
وأنتم فى عـمـيق النو
مِ شـاغلكم هو الجـاه
ومـال مـا لـه حـد . .
كـبـحـر تاه شطاه

وكل شـــعـــوبكم طُحنتْ
بـظـلـم قـــــــد لـعـنّـاه

***

لـم تكـونـوا رعـــاتـهـــا إنما كنْـ
ـتم عليـهـا كنار حـرب البـسـوسِ
فـسـجـونٌ مـوصـولةٌ بسـجـونَ
وسـيـاط كم أزهقت من نفـوسِ
وحـبـال منهـا الرءوسُ تدلّتْ
آثرت بالشـمـوخ مَـثْـوى الرمـوس
والطريق المضـمـون «سـفْـر نفـاق»
لضَـمـان المرءوس قلبَ الرئيس
والضـمـيـر المنيعُ صـار يبـابا
يُشـتـرى اليـوم بالرخـيص البـخـيس
وسـقـيـتمْ شـعـوبَكم من قـرار
فى كـئـوسٍ تدور إثرْ كـئـوس
وكـسـرتم شـعـوبكم فَـهُـزمـتم
مـن طـريـد مـن الـدُّنـا مـكـنـوس
ثم صـرتم للأمـركـان مطايا
وقـتلتم ياسـينَ والرنتـيـسى
فـأريحـوا خـلائق الأرض منكم
وارحـلـوا عـنـا يـابـنـى إبـلـيـس

فى ملاج الزهور

فى مرج الزهور

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	٣
- قبل المذكرات	٥
١- تعريف بصاحب المذكرات	٧
٢- تفاصيل اللحظات الأخيرة فى حياة الشهيد	١١
٣- الصهاينة يهللون لاغتياله	١٤
٤- الرنتيسى شاعراً	١٦
- هذه ذكرياتى	٢٧
■ مذبحة خان يونس عام ١٩٥٦	٢٩
■ الفقر . . إحدى جرائم اليهود	٣٠
■ الاحتلال وكلية التمريض	٣٤
■ كرامات فى المعتقل	٣٨
■ ثلاثة أشهر فى زنزانة انفرادى	٣٩
■ عندما يستجاب الدعاء	٤١
■ ومن يهن الله فما له من مكرم	٤٣
■ استجابة الدعاء	٤٦
■ الإبعاد إلى لبنان	٤٨

■ رحلة العذاب ٥٠
■ بوابة (زامريا) ٥٠
■ خطبة الجمعة الأولى فى الإبعاد ٥٢
■ الثبات على الموقف ٥٣
■ مختار مرج الزهور ٥٥
■ مصالحة تاريخية ٥٧
■ المجتمع الأمريكى العجيب ٥٩
- ملاحق ٦١
■ بيان صادر عن جماعة الإخوان فى مصر ٦٣
■ بيان صادر عن جماعة الإخوان فى فلسطين ٦٥
■ آخر مقال كتبه الشهيد - رحمه الله ٦٧
■ مقتطفات من حواراته ٧١
■ . . حوار مع زوجته ٨٤
■ صور الشهيد ٩٥
- الفهرس ١٠٢